تطور المنهج في الفكر الجغرافي الحديث

د. حكمت عبدالعزيز حمد الحسيني
جامعة صلاح الدين / كلية الآداب

تاريخ استلام البحث :٦ / ٣ / ٢٠١٦ تاريخ نشر البحث :٥ / ٦ / ٢٠١٦

الملخص

يهدف البحث الى ابراز مراحل تطور المنهج في الفكر الجغرافي الحديث والصعوبات التي واجهت المفكرين الجغرافيين خلالها، فلقد صيغت الخطوط والقواعد الاساسية للجغرافيا خلال الفترة الحديثة، لذا ولاجل وضع الاسس والقواعد التي توضح للجغرافيين مجال بحثهم ولاجل تبين المواضيع الجغرافية من غيرها فقد شهد منهج البحث الجغرافي محاولات عديدة ومر بمراحل زمنية متمايزة عن بعضها، ولابد من الاشادة في هذا المجال باسهامات كل من همبولت وريتر في تحديد اطر الفكر الجغرافي والمعرفة الجغرافية، وخلصت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات أهمها ظهور المدارس الجغرافية والتعاريف المتعددة لهذا العلم من قبيل ان الجغرافيا (علم العلاقات المكانية) أو أنه (علم التوزيعات) أو كونه (علم التباين المكاني) وغيرها من التعاريف، وأن موضوع الجغرافيا يحدد بوسيلتين اعتمدتا كاساس لاعطاء المعونة في عملية التحديد هما الحيز (المكان) والوحدة (الحجم) كما ويتميز المنهج الجغرافي عن المناهج العلمية الاخرى من خلال اهتمامه بالامتداد المكاني للظواهر (الافقي والعمودي) والامتداد الزماني وباعطاء الاولوية للاهمية النسبية للموضوع وان الجغرافيا حققت تقدما كبيرا إثر حركة الكشوف الجغرافية كما وتبين بانه لايمكن للجغرافية اتباع منهج واحد او وسيلة معينة في كل فروعها الطبيعية والبشرية. وقد أمكن التوصل الى صياغة القوانين في الجغرافيا الطبيعية، بينما كانت التعميمات افضل ما تم التوصل إليه في الجغرافيا البشرية لصعوبة اخضاع السلوك البشري للقوانين.

المقدمة

يحتل موضوع المنهج اهمية خاصة في الدراسات الجغرافية كونه الموضوع الذي يختص بوضع الحدود والابعاد والمحاور التي ينبغي ان تنصب في قالبها حتى لاتخرج عن مجال ومحتوى موضوع الجغرافيا نظرا لما في الجغرافيا من تداخل في المواضيع مع علوم اخرى الامر الذى جعل من المهم تذكير الباحث الجغرافي بالجوانب التي ينبغي عليه معالجتها في دراساته لتلك المواضيع وفي هذا المجال يقول الدكتور(طه محمد جاد) في كتيبه ((نظرات في الفكر الجغرافي الحديث)) ومن المؤكد ان الجغرافيا من العلوم القليلة التي تتطلب من وقت لاخر مقالة او سلسلة من المقالات لتوضيح بعض الافكار المناسبة وغير المناسبة في الموضوع والمنهج وطرق ووسائل البحث بصفة خاصة وترجع ضرورة الكتابة في هذا الجانب من وقت لاخر الى التذكير بالحدود التقريبية لهذا العلم من ناحية والى توضيح تنوع الاهتمامات بين الجغرافية من ناحية ثانية او الى الوقوف على المناسب وغير المناسب من وسائل البحث والدراسة الجغرافية من ناحية ثالثة. وعلى ضوء هذه المقدمة يتضح الهدف المرجو من اعداد هذا البحث وكان الغرض الرئيسي منه التاكيد على المنهج في الفكر الجغرافي الحديث الذي تعود بدايات ظهوره الى عصر النهضة الاوربية الحديثة حيث حدثت التحولات الاكبر في هذا المجال ولاجل النهوض بالجغرافيا من مجرد موضوع معرفي يهتم بخدمة العلوم الاخرى بذل الجغرافيون الجهد لوضع هدف يلتزمون به،ويعطي الجغرافيا ذاتيتها،ويثبت استقلالها ويرقى بها الى مستوى العلم الاصولي. وتكفي الاشارة لأجل توضيح أهمية هذا الموضوع الى مايذكره الاستاذ الدكتور محمد عبدالرحمن الشرنوبي في كتيبه المعنون((الجغرافيا بين العلم التطبيقي والوظيفة الاجتماعية حول محتوى ومنهج هذا العلم((وهو الموضوع الذي ظل يفرض نفسه على امتداد اربعة مؤتمرات جغرافية نظمها الاتحاد الجغرافي الدولي I.G.U والتي عقد اخرها في طوكيو باليابان صيف عام ١٩٨٠))[١] ولقد اشتمل البحث على اربعة محاور رئيسة تناول الاول منها موضوع الجغرافيا في عصر الكشوف فيما تناول الثاني نشاة الجغرافية الحديثة وتناول الثالث موضوع المدارس الفكرية الجغرافية فيما عالج الرابع موضوع تطور المنهج في الدراسات الجغرافية الحديثة تناول فيها عرض لاهم المفاهيم والتعاريف حول مواضيع ومحتوى ومنهج علم الجغرافيا وتناول ايضا مسالة صياغة القوانين والدراسات الجغرافية، وخرجت الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات.

الجغرافيا في عصر الكشوف الجغرافية

كان الركود الفكري قد ساد الحركة العلمية في اوروبا منذ القرن الرابع الميلادي حتى نهاية القرن الحادي العشر، كان الركود عاما لم يقتصر على علم بذاته بل شمل العلوم كافة ومن بينها الفكر الجغرافي، وما ان حل القرن الثاني عشر حتى بدأت الحياة تدب في الحركة العلمية والفكرية باعثة فيها الروح ومعلنة عن بداية قوية ذات تأثير عميق في النتائج اكثر من بقية الميادين الاخرى تجارية كانت ام سياسية إذ شهد هذا القرن بداية لنهضة هي برغم ضيق نطاقها اشبه ماتكون في حيويتها وابداعها بحركة النهضة الاوروبية الكبرى .[٢] ان الاسباب الحقيقة المؤكدة التي كانت وراء هذا الانبعاث لاوروبا لم تكن واضحة تماما بل ومعقدة، حيث عادة الحياة اليها بعد عام ١٢٠٠م. [٣]

الا ان اهم مايمكن ان يقال انه قد ساعد عليه هو تحول الاحوال السياسية العامة الى الاستقرار وبالتالي فقد غدا التنقل آمنا بين البلاد ودبت الحياة الجديدة لدراسة القانون والطب والمنطق واللاهوت، فنشأت الجامعات التي أخذت على عاتقها قيادة وتوجيه الحركة العلمية في هذه المرحلة، ومن العلوم التي كان لها دورا مهما ونصيبا من البحث والتتبع كانت الجغرافية، ذلك لان طبيعة القرن الثاني عشر والقرن الذي سبقه تطلبت معرفة جغرافية لكثير من مناطق العالم وخاصة ما يرتبط منها بمعرفة المناطق التي كانت ساحة للحروب الصليبية. تلك الحروب التي كانت من اهم الوسائل التي ادت الى احتكاك الغرب المتخلف حضاريا بالشرق الوارث لحضارات ناضجة ومؤثرة، يضاف الى ذلك المناطق التي كانت تحت سيطرة الحكم الاسلامي والتي انتقلت الى الاوروبيين فكونت لهم بيئة جديدة ساعدت على زيادة معرفتهم الجغرافية.[٤] كذلك فأن اعادة احياء الفكر الاغريقي والروماني قد ادى الى ترجمة المؤلفات الجغرافية الاغريقية، فترجمت جغرافية بطليموس اولا الى اللاتينية عام ١٤١٠. وفيما بين هذا العام وعام ١٥٠٠تم نشر اكثر من خمس طبعات اخرى. وكان كتاب جغرافية بطليموس من اكثر الكتب التي طبعت وتم تداولها في ذلك الوقت٠ كما اعيد انتاج خرائط بطليموس بنفس الاطالس التي كانت تحتوي على خرائط دقيقة للعالم وقد عملت المؤلفات البطليموسية ورحلات الاستكشاف وارتياد اجزاء العالم المختلفة الي وجود عصر ذهبي للمعرفة الجغرافية بنجاح منقطع النظير في الفترة مابين عام ١٤٥٠ وعام ١٨٠٠.[٥]

وقد يكون من الصعب بل ومن المستحيل ان نفهم سر اليقظة التي سادت دوائر المعارف في عصر الاكتشافات الاوربية فالاهتمام الذي الذي ظهر كان شديدا ويكاد يوازي تماما اهتمامنا الحالي بالفضاء الخارجي.[٦] فلم تاتي السيطرة المطلقة على زمام الفكر الجغرافي من جانب الاوربيين بسهولة وبين عشية وضحاها بل كان ذلك تدريجيا وخطوة إثر خطوة، واعتبارا من القرن السادس عشر للميلاد اصبح الاوربيون يمسكون بزمام الفكر الجغرافي وقد اخذ فريق منهم علي عاتقه مسؤلية تطوير النظرية لحساب الفكر الجغرافي الافضل فيما اخذ فريق اخر على عاتقه مسؤولية الرحلة في البر والبحر لحساب الكشف الجغرافي الذي يزود الجغرافيين بالمعرفة الجغرافية[٧].

لقد كانت انطلاقة عصر النهضة الوثابة في اوروبا بداية التحول الحقيقي البناء الذي أنهى منطق الفكر المسيحي الظال كما رسمت له الكنيسة في العصور الوسطى وخططت له ان يكون [٨]. لقد كانت هنأك مسالتان ادتا الى نبذ الفكر الجغرافي المسيحي ورفض كنهه والتخلص منه جملة وتفضيلا كانت احداهمكا الفشل والاحباط الذي منيت به الجيوش الصليبية في حروبها في الشام والمسالة الثانية هي حركة الاصلاح الديني وعدم الامتثال للكنيسة الكاثولكية كلتا المسألتين قد فتحنا ابواب التحول على مصراعيه٠حيث حرر هذا التحول الفكر الاوربي واطلق له العنان لكي يصبح قوة دفع فجرت الابداع الاوروبي العلمي والحضاري والاقتصادي ومعناه مرة ثالثة ان النهضة الاوربية قد وضعت الفكر الاوربي في وضع الاستعداد لكي يتبنى الفكر الجغرافي ويحدثه ويطوره [٩].

هذا عدا عن عوامل اخرى خارجية قد حفزت جانب السعي لدى الاوربيين في سبيل تبنى الرحلة في سبيل الاكتشاف كان منها مجيىء الدولة العثمانية وسيطرتها على اهم المضائق التي تصل الطرق البحرية والبرية القديمة سواء كانت تلك التي تربط بين البحر المتوسط والبحر الاسود ام في الممرات اليابسة، كانت تلك من الضروف التي ساعدت على دفع فكرة البحث عن طرق جديدة تربط بين المناطق المعلومة فيما بينها، وبين المناطق المعلومة والمناطق المجهولة، ويمكن اعتبار ذلك من العوامل السياسية، في حين يبرز دور العوامل الاقتصادية لاجل ذات الهدف والذي تمثل بالتطور الاقتصادي الذي بلغته اوروبا منذ بداية عصر النهضة والذي نجم عن زيادة الانتاج عن السابق مما ولد فائضا عن حاجة السوق الاوروبية مما حفز الاوروبيين للبحث عن اسواق جديدة فيما وراء البحار لتصريف فائض الانتاج اليها وتوريد ما تحتاجه السوق الاوروبية الاستهلاكية من جهة وتامين

احتياجات المصانع الاوروبية من الموارد الخام من جهة اخرى.[١٠] فبقدر تعلق المسالة بالحروب الصليبية فانه بغض النظر عن حسابات النصر والهزيمة فان تلك الحروب تمخضت عن انفتاح مثير على معالم الحضارة والركب الحضاري والاجتهاد الفكري الاسلامي، ومن حصاد هذه الحملات التي احبطت امل اوروبا في السيطرة على الاراضي التي قصدتها في الشام ومصر انها فجرت دوافع وولدت حوافز لدى الاوروبيين للخوض في غمار الكشوف الجغرافية على اوسع مدى بقصد تطويق العالم الاسلامي وللتبشير بالمسيحية وتنصير الوثنيين في الارض المجاورة لامتداد اراضي المسلمين في قارتي اسيا وافريقيا لأجل إجهاض النفوذ الاسلامي وايقاف انتشار الدين الاسلامي. [١١]

ولقد كانت هناك اخطار جمة صادفت الرحالة والمسكتشفين خلال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وعلى الرغم من ذلك فقد كان العالم الجديد مفتوحا امام اوروبا ولو تاملنا في هذا الانتشار الاوروبي والمشكلات التي انطوت عليه لامكن استنتاج مقدار النجاح الذي احرزته الجغرافيا في عصر الكشوف.[١٢] حيث تم اكتشاف راس الرجاء الصالح كي تدور سفن الاوروبيين حوله وصولا الى الهند وجنوب شرق اسيا واكتشاف الامريكتين واستراليا والقارة القطبية الجنوبية بل والدوران حول العالم ذلك الانجاز الذي الهب الحس الجغرافي الاوروبي واثار التفكير الجغرافي المستنير ووضعت العقل الاوروبي في مواجهة الرؤية الجغرافية المباشرة. [١٣]

فيما ولدت الثورة الدينية وحركة الاصلاح الديني المتنورة فكرا وبحثا متحررين بعد إعلان هذا الفكر لتمرده على تسلط الكنيسة الكاثوليكية وترسيخ اركان الكنيسة البروتستانتية ونظرا للرفض الذي اظهره رجال الكنيسة الكاثوليكية للامتثال لحركة التغيير وامتناعهم عن الاستجابة لها تلك الحركة التي وضعت اسس التفكير الحر النير وازالت الاسس المتداعية التي استند عليها الفكر المسيحي الكاثوليكي طوال الحقبة التي شل فيها الفكر الاوروبي واعاقه عن اداء دوره السليم على العكس من الكنيسة البروتستانية التي تقبلته برحابة صدر، هذا الانعطاف الذي ثبت دعائم الامن والامان لمصلحة التفكير المتحرر الذي أسند النهضة الاوروبية وهيأ اقصى درجات الانفتاح على الحقائق، وهيأ الارضية المناسبة لبعث حركة التقدم والازدهار العلمي والاقتصادي والحضاري والاجتماعي من اجل الانسان، ذلك التقدم الذي اوحى بفكرة الكشوف الجغرافية للفكر الاوروبي صوب خارج اوروبا ولقد كان النجاح مؤكدا.

بالاضافة الى العاملين السابقين كان لضهور العثمانيين الذين ورثوا الخلافة الاسلامية في اسيا الصغرى وسيطرتهم علي الممرات المائية في البحر المتوسط والبحر الاسود والخليج العربي ولاسيما بعد الفتح الذي حققة السطان محمد الفاتح وعبوره مضائق بحر مرمرة وإستيلائه على عاصمة البيزنطيين (القسطنطينية)-إسطنبول- حاليا ذلك الفتح الذي كان معناه استحالة الارض الاسيوية والافريقية االمجاورة لاوروبا بوجه الاوروبيين .

وقد كانت حاجة اوروبا ملحة لتصريف فائظها من الانتاج بعد التقدم الاقتصادي الذي تحقق فيها باالاضافة الى حاجتها الى سد نقصها من منتجات الشرق لاختلاف الضروف الطبيعية والبشرية كانت كلها عوامل اساسية وجهت الفكر الاوروبي نحو الكشوف الجغرافية خارج اوروبا مما ايقظ الحس الجغرافي أملا في إغناء الفكر الجغرافي الاوروبي وصقلة.(١٤)

وهكذا بدا الفكر الاوروبي المتطور المفعم نشاطا ياخذ بزمام الفكر الجغرافي ويوجة سيره ويرسم له طريقه بعد خفوت الحركة الفكرية وتراخيها عن الاضافة والابداع والتطوير. ولقد بدأ الفكر الجغرافي الاوروبي يحتل مساحة كبيرة على صفحات التراث الفكري العالمي منذ القرن السابع العشر الميلادي آخذا على عاتقة مهمة الابداع، وتطلع الى نشر المعرفة الجغرافية وتنشيط الحركة الجغرافية والعلمية. (١٥)

ولقد كان للخريطة قسط وافر من الاهتمام مما ادى الى ازدهارها وتطورها في تلك الحقبة حيث كان من الظروري مجابهة الاماكن الجديدة علي وجه السرعة. فكانت التقارير عن تلك الاستكشافات عبارة عن البيانات والمعلومات الجديدة وكانت هي في حد ذاتها جزءا من المعرفة الجغرافية التي كانت سائدة انذاك. وكان وضعها علي الخرائط دفعا للجغرافية والكارتوغرافيا واسهاما في الفكر والعلم والمعرفة واصابها ما اصاب كل المعارف والافكار والعلوم التطور والتقدم في الوقت الذي لم يكن الامر فيه يخلو من مصاعب في ذالك العصر فعصر الكشوف كان في الوقت نفسة عصر ازدهار للتجارة ايظا حيث امكن الوقوف علي المواقع الدقيقة للاماكن والمسالك الجديدة واكثرها يسرا للوصول الى الجهات المختلفة ولكن ذلك كان يكلف اموالا طائلة فتلك الطرق كان معرفتها حكرا على الذين يمتلكونها، فقد ساهمت الجغرافيا في تقديم بيانات دقيقة عن تحديد مواقع الاماكن للتجارة وللمواطنين ومجتمعاتهم.

وانه من البديهي ان العلم الذي يكون باستطاعته الاجابة عن الاسئلة الملحة للشعوب هو الذي يحضى بالتقدير اكثر من غيره من العلوم حيث كان على الجغرافيا وعالم رسم الخرائط أن يجيب عن السؤال المكاني التقليدي لديهما (اين؟)

حيث كان سؤالا هاما لمئات السنين وهكذا بالنسبة لغيرها من الاسئلة ذات العلاقة بالمكان، وكانت عملية اعطاء الاجابة احد العناصر التي ادت الى نجاح الجغرافيا ودفعتها نحو الامام في ذلك العصر.

وقد بلغت الجغرافيا غاية ازدهارها في الفترة التي انحصرت بين عامي ١٥٠٠-١٨٠٠م وفي الوقت الذي أصبح في مقدرة الجغرافيين الاجابة عن الاسئلة الملحة المطروحة امامهم وتقديم الحلول المطلوبة لمشاكلهم. كما سبق وان حدث بخصوص المكان وموقعه إبان القرون الثلاثة تلك فلسوف تبلغ وقتها المكانة ذاتها. [١٦].

نشأة الجغرافية الحديثة:

يمكن القول بان الجغرافية الحديثة تختلف إختلافا بينا عن الجغرافيا القديمة ويتمثل هذا الاختلاف في سعيها المستمر لتصبح علما يأخذ مكانه بين العلوم. فقد اخذت الجغرافية الحديثة صفة العلم بعد ان ظلت قرونا طويلة تضم اشتاتا من المعارف والحقائق يغلب عليها الطابع الوصفي وتفتقد الى الوحدة والتجانس[١٧] فقد اخذ الفكر الجغرافي الحديث يتخذ طابع التحديد والتوضيح وبيان الاهداف منذ اوائل القرن التاسع عشر ولاشك في ان الجغرافية الحديثة مدينة في وجودها الى العالمين الالمانيين (الكسندر فون همبولت) و(كارل ريتر) فقبلهما لم تكن الجغرافيا قد تحددت مفاهيمها، او اتضحت معالمها، وبانت اهدافها ومراميها ذلك ان الغالبية العظمى من كتاب القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يحاولوا، أو ربما لم يستطيعوا وضع مفهوم جغرافي يتضع من خلاله هدف يحدد معالم الطريق لكل مشتغل في الحقل الجغرافي وقد كان ينظر اليها على انها موضوع مساعد يستعان به في بعض امور الحياة كتفسير احداث التاريخ كما وقد كان ولايزال ربما شائعا لدى الناس أن الجغرافيا موضوع معرفي غير تخصصي يتناول وصف ظاهرات سطح الارض ويمدنا بالمعلومات عن العالم ومناطقه واقطاره وبلدانه وهو بهذا المفهوم الجغرافي يفيد الدول والحكومات الراغبة في التعاون مع غيرها اوالطامعة في التوسع[١٨].

وفي هذا الارتباط بين التاريخ والجغرافيا واجهت الجغرافيا مهام جديدة وازدادت مادتها العلمية يوم بعد يوم ولكن مالبثت الجغرافيا أن كسرت الطوق الذي يربطها بالتاريخ واحتلت مكانها اللائق كعلم مستقل.[١٩]

هذا ويمكن التاكيد بانه قد حدثت نقطتي تحول مثيرتين خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشروالنصف الاول من القرن التاسع عشر عجلتا في وضع الفكر الجغرافي في قالبها العلمي الذي نراه اليوم تمثلت النقطة الاولى في تسخير الفكرالجغرافي الاوربي تسخير موضوعيا بناءا وتولى بالضرورة امر صياغة وتنشئة القواعد والاصول التي ارتكزت عليها بعض اهم المفاهيم الجغرافية الاصولية الأمر الذي اسفرعن تجسيد الشكل العلمي والموضوعي للجغرافية. اما نقطة التحول الثانية فتمثلت في الفصل بين دور الفكر الجغرافي ودوره الوصفي التخصصي في المكان والفكر التاريخي ودوره الوظيفي التخصصي في الزمان فتحولت الجغرافيا من تابع ذليل للتاريخ الى مرشد ومبصر له يعينه على تفسير الاحداث التاريخية.[٢٠]

وهناك اجماع على ان سنة ١٧٥٤ميلادية قد شهدت بعض هذه التحولات علي يد الجغرافيا الالمانية التي تولت مسؤولية ترسيخ الفكر الجغرافي الحديث ومن ثم صياغة علم الجغرافية وتجسيد مغزاه ومرماه. وقد أسفر الفكر الألماني عن ظهور اتجاهين متميزين في الفكر الجغرافي الحديث في وقت لم يكتمل فية نضج الشكل العلمي للجغرافيا، دعيت المدرسة الاولى بالمدرسة الاحصائية السياسية التي قسمت العالم على اساس الوحدات السياسية المعتمدة على الاحصاء الجيد والحصر الصحيح وتقصي الحقائق لانجاز البحث الجغرافي الذي يجسد الرؤية الجغرافية في الوحدة السياسية المعينة.[٢١]

وقد لقي هذا الاتجاه اعتراضا موضوعيا من لدن بعض الجغرافيين الذين انصب اهتمامهم على ايجاد الحدود الطبيعية للعالم، ونبذ الفكرة التي كانت شائعة انذاك وهي التقسيم على اساس الوحدات السياسية نضرا لما يطرأ عليها من تغيرات سريعة، ولكونها لاتستند على اسس علمية بقدرما تعبر عن قوة الدول ونفوذها، إلا إن أكبر مشكلة واجهت الجغرافيين انذاك تمثلت في المقياس الذي يجب ان تركز عليه تلك الحدود الطبيعية. وقد تمكنوا من التغلب على المشكلة بعد ظهور نضرية ((شبكة انضمة الجبال المتصلة)) التي طورها في المانيا ((جاتيرير)) في عامي (١٧٧٣-١٧٧٥)وجعلها اساسا صالحا لتقسيم العالم الى اقاليم طبيعية وانحصر ميدان الدراسة الجغرافية من الوجهة العلمية منذ ذالك الوقت وحتى في عصر الفيلسوف (كانت) ومن بعده (ولهملي) في سنة ١٨٢٠ في بعض ظاهرات سطح الارض، وبخاصة الطبيعية منها. الا ان المفهوم الطبيعي للدراسة الجغرافية لم يكن يستبعد الانسان. كما قد يضن البعض الا ان التاكيد كان على الجوانب الطبيعية[٢٢].

ثم حدث بعده تطور جديد تمثل بدراسة مناطق تشمل عدة مظاهر طبيعية كالهضاب والجبال والسهول فظهر التقسيم على اساس دراسة القارات ومنها اوروبا بعد تقسيمها الى اشباه الجزر مثل إيبيريا او المناطق البلطيقية او الكرباتية او الالبية.[٢٣]

ثم ظهرت المدرسة الاخرى تحت اسم المدرسة الجغرافية البحتة الذي كان هومابر الالماني ابرز أبناء هذه المدرسة عندما تصدى الى تقسيم العالم الى أقالم طبيعية، متخذا من احواض الانهار اساسا لهذا التقسيم[٢٤] حيث تمثل عملها بدراسة الجغرافية القائمة على اساس تقسيم العالم الى اقاليم طبيعية متخذين من الاحواض الانهار اساسا لذلك التقسيم مع التاكيد على دراسة ما يكون في تلك الاحواض من نبات وحيوان وانسان.[٢٥]

وقد سلك الاجتهاد الجغرافي في احضان رؤية هذه المدرسة سبيلا محددا لانجاز البحث الجغرافي الموضوعي. في اطار الاقليم ولقد انغمس البحث في الوصف الشامل الذي يجسد الرؤية الجغرافية وتضمن هذا الوصف الجغرافي الذي تحرى الصدق والتصوير الجيد بيانا شاملا يعالج سطح الارض وما يحويه من نمو نباتي وحياة حيوانية. لقد تصدت المعالجة الجغرافية في هذة المرحلة للتفسير والتحليل بقدر ما تصدت الى تصور العلاقات التي تربط بين النبات والحيوان والانسان في الاقليم، ومعنى ذلك تاكيد القدرة الجغرافية على حسن استخدام التركيب والتحليل من اجل تجسيد الرؤية الجغرافية في الاقليم[٢٦].ويمكن الجزم بان البحث الجغرافي في هذه المرحلة دخل في طور جديد تمثل في ادخال الجوانب العلمية في مجال علم الجغرافية تمثلت فيما قدمه فورستر للجغرافيا باستخدامه للمعلومات التي جمعها وقام بترتيبها وتبويبها والتي تناولت مواضيع الارض والماء والجو والكائنات العضوية من حيوان ونبات وبشر[٢٧] وهو من اوائل الذين سعوا الى تفسير العلاقة الوثيقة بين الانسان وبيئته. وقد خطت المعرفة الجغرافية قبل ذلك خطوة نحو الامام في اواخر القرن الثامن عشر على يد الفيلسوف الاماني (ايمانويل كانت) عندما قاده اهتمامه بنظرية المعرفة وفلسفة العلم الى ان يجمع مادة لمصنف في الجغرافية الطبيعية وقد إختلفت الجغرافيا الطبيعية عند (كانت) عما كانت عليه من قبل، فهي لم لم تعد تضم الجغرافيا الفلكية او الرياضية كما انها في نضره تعد اساسا لدراسة الجوانب البشرية في الجغرافية ومعنى هذا ان الجغرافية الطبيعية عند (كانت) تدور حول محور إنساني[٢٨] وبهذا فقد أخذت الجغرافيا تشهد تحولات جوهرية مع مرور الوقت، لقد وضع (كانت) البذور الاولى لعلم الجغرافيا الحديثة واصبحت الجغرافيا تختلف اختلافا بينا عن الجغرافيا القديمة.

ويتمثل هذا الاختلاف في سعيها المستمر لان تصبح علما ياخذ مكانه بين العلوم فقد اخذت الجغرافيا الحديثة صفة العلم بعد ان ظلت قرونا طويلة تضم اشتاتا من المعارف والحقائق يغلب عليها الطابع الوصفي وتفتقر الى الوحدة والتجانس.

ويعود الفضل في التطور الذي حصل للجغرافيا كما سبق ذكره الى كل من الجغرافيين الالمانيين ريتر وهمبولت حيث انهما أرسيا قواعد الجغرافيا الحديثة واصولها وارتقيا بها الى مستوى العلم الاصولي والمنظم، بعيدا عن الدراسات الجغرافية الوصفية والتقليدية.[٢٩] فقد اخذ ريتر في دراسته بالمنهج التجريبي وقد دعا ريتر الجغرافيا تبعا لذلك بعلم الارض بدلا من علم وصف الارض لان الجغرافيا عنده لم تكن مجرد تجميع ووصف المعلومات والحقائق، ولكنهاتحاول ان ترد هذه المعلومات والحقائق الى اصولها الجغرافية. وفضلا عن ذلك فانها تحاول ايضا ابراز الاختلافات الاقليمية، وتهدف في النهاية الى ابراز شخصية الاقليم. ومعنى هذا، ان ريتر اتجه نحو المنهج الاقليمي وفي الوقت ذاته اتجه نحو المنهج البيئي وذلك بدراسة العلاقة والترابط بين الظاهرات المختلفة داخل الاقليم الواحد وقد اهتم ريتر بدراسة الارض باعتبارها معرضا لقوى الطبيعة، ومسكنا للانسان ومسرحا لنشاطه واوضح ان الارض والانسان كليهما يؤثر في الاخر. وانتهى من ذلك الى ان تظل الجغرافيا والتاريخ متلازمين ويصعب الفصل بينهما ومعنى هذا ان ريتر اتجه نحو الجغرافيا البشرية ولم تعد الجغرافية عند مجرد جغرافيا طبيعية.[٣٠]

ولقد أكد ريتر على أن الارض وحدة مستقلة، وأن الجغرافيا، علم تجريبي(ميداني) وان بالامكان الكشف عن القوانين الجغرافية من خلال تجميع الحقائق وايجاد الربط بينها. وفي الوقت الذي توجه فيه (همبولت) الى معرفة الوحدة: التباين، وركز على الظواهرالطبيعة في الجغرافيا العامة واتجه ريتر الى دراسة الانسان من خلال تلك الظواهر مؤكد على المنهج الاقليمي في الدراسات الجغرافية.[٣١]

لقداكد ريتر على فكرة تفاعل جميع الظواهر على سطح الارض. وكان في شبابه وخلال حياته شديد الاعتقاد بالعلاقة بين الجغرافية والتاريخ، وكان مؤلفه الاول كتاب من جزئين عن قارة اوربا (١٨٠٧و١٨٠٤) (جغرافي–تاريخي–احصائي) وقد زوده بست خرائط ولقد رأى سنهوبر (ان هذا الاطلس في تسلسله من سلاسل الجبال والمرتفعات، والنباتات الطبيعة، والمحاصيل والحيوانات الى الانسان، يكشف عن إدراك ريتر لماهية التفاعل بين الظواهر الجغرافية الرئيسية).

ومع أن من غير الصحيح التحدث عن ريتر باعتباره مؤسس الجغرافيا الاقليمية، إلا أن هدفه كان تقديم جغرافية اقليمة للعالم، وذلك بدراسة اقاليم ذات حجم ضخم نسبيا وهو اتجاه يشيع بصورة واسعة في جغرافية القرن العشرين.[٣٢]

هذا ماكان من أمر ريتر، اما همبولت فقد كان واسع المعرفة والدراية بعلوم كثيرة كالنبات والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء والتشريح والفسيولوجيا والتاريخ، كما قام برحلة علمية طويلة الى امريكا اللاتينية وكان من الطبيعي ان تقوده معارفه المتعددة الجوانب من جهة، ورحلاته الطويلة من جهة ثانية الى طرق باب الجغرافيا للربط بين هذه المعارف على اساس تجريبي.[٣٣]

ولقد كان اول من قسم مناطق العالم التي ارتادها الى اقاليم نباتية. وقد طبع خرائط لهذه المناطق في اطلسه الجغرافي الطبيعي عن القارة الجديدة (صدر في١٨١٤_١٨١٩) والواقع ان همبولت له الفضل الكبير على الجغرافيين العصريين لانه أمدهم بمعظم الرسوم التصويرية التي تجعل دراستهم علمية.[٣٤]

لقد كان همبولت مهتما بالعلوم وبالجغرافيا وقد إنجذب نحو دراسة الجيولوجية ودراسة الصخور وسافر بنفسه الى جنوب المانيا وشارك في زيارة المناجم لاستكمال ابحاثه الجيولوجية كما قام بسفرات عديدة حول العالم خاصة الى امريكا اللاتينية والى امريكا الوسطى واكتشف نهر الاورينوكو وتسلق جبال الانديز ووصل الى سواحل بيرو. فاهتم بتاثير المناخ على النبات وبمساعدة خطوط الطول ودوائر العرض. كما كتب عن مواقع البراكين واشكالها وقد الف كتاب (كوزموس)عن العالم ويعد الكتاب معجما تفصليا للعالم من الناحية الجغرافية [٣٥] وقد وضع الكتاب في أربعة أجزاء، وقد ظهر الجزء الخامس سنة ١٨٦٢ أى بعد وفاته، وكان همبولت يشبه باقي العلماء من حيث أنه لم يكن مختصا بالجغرافيا ولكنه أسهم في تبويب المعرفة وخاصة في تقسيم النباتات. فمن أعماله العلمية اهتمامه بالاختلافات الموجودة على سطح الارض كالاختلافات التى تحصل في النبات الطبيعي وحاول اكتشاف العلاقات بين الظواهر التي درسها من خلال ملاحظاته للظواهر الموجوده على سطح الارض. ولذلك إهتم همبولت بالجغرافيا الطبيعية.[٣٦]

لقد قام كل من ريتر همبولت بتطوير الافكار والمفاهيم النظرية والجغرافية التي كانت سائدة في اواخر القرن الثامن عشر وتحويلها الى حقائق وكان منهجهما تجريبيا واستقرائيا[٣٧] كما سبقت الاشارة.

ولقد شهدت الدراسات الجغرافية تحولا جوهريا وتطورا مهما سواء في مناهجها واساليبها او في اهدافها ووسائلها لاسيما بعد ان أرسى كل من ريتر وهمبولت قواعد الجغرافيا الحديثة واصولها وارتقيا بها الى مستوى العلم الاصولي والمنظم عن الدراسات الجغرافيا الوصفية والتقليدية[٣٨]. ولابد من الاشارة الى ان ريتر كان اول من عارض ماكان يطلق عليه بالجغرافية النظرية او المكتبية والتي تعتمد على قراءة الكتب في المكتبة وعلى كرسي مريح ولاتتطلب الخروج الى الميدان وملاحظة الظاهرات.[٣٩] وإذا كان ريتر وهمبولت يتشابهان في أرائهما وإتجاهاتهما نحو اعطاء الجغرافية الصفة العلمية إلا انهما يختلفان عن بعضهما في أمر اساسي هو أن ريتر إتجه الى دراسة الاقاليم بينما نظر همبولت الى العالم نظرة كلية فكانت دراسته شاملة للعالم ككل. وقد قاده هذا الى الاهتمام بالجغرافيا الاصولية. بينما اهتم ريتر بالجغرافيا الاقليمية.[٤٠] فلقد ادت ابحاث همبولت في الموضوعات النوعية كانواع النبات والمناخ في الاقاليم اولا ثم في القارات ثم على نطاق عالمي الى المفهوم الادراكي للجغرافيا كعلم له اصول، ذلك العلم الذي يبحث في التوزيعات الاقليمية والعالمية للظواهر كالنبات والسكان والسطح، كذلك فان مجلدات ريتر العظيمة عن الوصف والتحليل الاقليمي قد اكدت ثبات المركز للاقليم في اسلوبه خلال القرن التاسع عشر وما بعده.[٤١] لقد ظهر هذا العالمان في وقت ازداد فيه انفتاح عقلية العلماء فكانت اراؤهم القاعدة لكثير من الاراء النظرية وتمثل ايضا الاساس للدراسة والمناقشة التي ظهرت فيما بعد بين علماء الجغرافية.[٤٢] فالحقيقة ان اراءهما وافكارهما تكملان بعضها البعض الاخر وتشكل مجتمعة منهجا متكاملا للجغرافية الحديثة. ولذلك يمكن القول بحق بانهما وضعا حجر الاساس لعلم الجغرافية الحديثة. [٤٣]ولقد ظلت المفاهيم الاساسية للجغرافية التي كونها همبولت وريتر سائدة حتى منتصف القرن العشرين. [٤٤]

المدارس الفكرية الجغرافية

لقد توفي كل من ريتر وهمبولت في عام ١٨٥٩ وبوفاتهما انتهت مرحلة من مراحل الفكر الجغرافي التي سادت فيه المثالية باشكال مختلفة وفي نفس السنة نشر داروين كتابه ((اصل الانواع)) الذي يعتبر بداية لعصر المادية الذي سادت فيه زيادة التأكيد على فكرتي القانون الطبيعي والسببية.

ولا يعني وفاة ريتر وهمبولت ان الجغرافية دخلت مرحلة الانتكاس بسبب خلو الميدان الجغرافي على الرغم من وجود بعض تلاميذ ريتر. الا انه في مجال التدريس الجامعي لم يخلق جغرافيا يقوم بالتدريس الامر الذي جعل الجيولوجيين يحلون محل الجغرافيين في تدريس الكثير من المواضيع التي تخص الجغرافيا وخاصة في المجال الطبيعي ونخص بالذكر في هذه المرحلة ((اوسكار بشل)) الذي جاءت فكرته معارضة الاراء سابقين.(٤٥)

اضافة الى ظهور التيارات الفكرية والنظريات العلمية التي ذاعت وانتشرت في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر فلقد كان لظهور كتاب راتزل (الجغرافية البشرية) سنة ١٨٨٢م تأثير كبير في تطور منهج علم الجغرافية في الربط بين الطبيعة والانسان. وعلى الرغم من اهتمامات هتنر بالدراسات الاقليمية، الا ان ذلك لم يمنعه من الاهتمام بالجغرافيا العامة مشيرا الى عدم امكان فصلهما، ففي الدراسات الاقليمية يمكن البحث في الاختلافات المكانية. وفي الدراسات العامة لظاهرة ما، يستلزم البحث في علاقاتها المكانية (الاقليمية) ومع ذلك استمرت هذه الازدواجية في الدراسات الجغرافية، متخذة مظهرين مستقلين الى حد كبير، حتى دعا البعض الى اعتبار الجغرافيا من العلوم الطبيعية. فيما عدها اخرون ضمن العلوم الاجتماعية. ومع ان الدراسات الطبيعية اخذت الجانب الاكثر اهتماما مع تبلور مفهوم الجغرافية. الا ان الدراسات البشرية شملت حيزا اكبر فيما بعد.(٤٦)

وفي ضوء ماسبق برزت هناك مدرستان في الجغرافيا كان لهما دور كبير في تبلور الدراسات الجغرافية الحديثة، سواء من حيث المنهج او الاسلوب. وهما :

١-المدرسة الحتمية.

٢-المدرسة الامكانية.

أولا: المدرسة الحتمية

حاول أصحاب هذه المدرسة تقديم البراهين والادلة على قوة فعل الطبيعة وجبروتها والذي كان له دور بعيد الاثر في اتجاهات البحث العلمي الجغرافي ويعكس هذا الفريق من الجغرافيين مبلغ اذعان الانسان لتوجهات الطبيعة او ما تمليه عليه او تفرضه في المكان والزمان.(٤٧) فلقد اتجهت الدراسات الجغرافية بعد ريتر وهمبولت اتجاها واضحا نحو الاهتمام بدراسة تركيب الاشكال الارضية (الجيمورفولوجيا) وبدأ هذا الاتجاه على يد (بشل) أولا. (٤٨)

ان ابرز معالم تطور الفكر الجغرافي جاء على يد راتزل في اواخر القرن التاسع عشر.[٤٩]وذلك في الوقت الذي كانت فيه الجغرافيا البشرية تشكو من ضعف شديد كاد ان يفقدها ذاتها.[٥٠] حيث قام راتزل (١٨٤٤-١٩٠٤) ببعثها ووضع قواعدها ويمكن ارجاع هذا الاضمحلال الى انقسام الجغرافية الى فرعين: الجغرافية الطبيعية والجغرافية الكلاسيكية وأيضا الى تقدم علم الاجتماع تقدما كبيرا، ويبدو أنه كان لنظرية النشوء والارتقاء لداروين بالغ الاثر في تفكير راتزل الجغرافي فنرى تطبيقاتها واضحة في كل اعماله فالانسان في رأيه (كالنبات والحيوان) من نتاج البيئة وهو في نشاطاته وتطوره وامامله محكوم بها لايستطيع منها فكاكا وقد نشر راتزل كتابه الاول في الجغرافية البشرية تحت عنوان Anthropogeography [٥١] في عام (١٨٨٢) ثم اتبعه بكتابه الثاني في الجغرافية السياسية ويمكن تلخيص أفكار راتزل وآرائه في الدراسات الجغرافية في اتجاهين:

أولهما:. أنه وضع أساس الجغرافية البشرية وكانت معالجاته لها على اساس اصولي الاقليمي , مؤكدا بذلك على ان الجوانب البشرية يمكن ان تخضع للدراسة الاصولية المنهجية شانها في ذلك شأن الجوانب الطبيعية . ويمكن القول بأن راتزل استطاع ان يحرر الجوانب البشرية من المنهج الاقليمي.

ثانيهما:. اسراف راتزل في اخضاع الانسان ونشاطه البشري لتأثيرات البيئة الطبيعية. وبذلك كان الرائد الاول فيإحدى مدارس التفكير الجغرافي وهي مدرسة الحتم البيئي.

ان آراء راتزل الحتمية امتد تأثيرها الى خارج المانيا .. الى فرنسا وامريكا وكان من ابرز دعاتها في فرنسا ديمولان الذي اصدر كتابه (النمط الاجتماعي) في مستهل القرن العشرين، مظهرا فيه وبصراحة واضحة حتميته.[٥٢] ليثبت بأن الطريق (وهو ليس فقط الاقاليم التي تخترقها الشعوب المهاجرة بل أيضا المكان الذي تستقر فيه آخر الامر) يشكل شخصيات الشعوب ونظمها الاجتماعية. فيقول في فاتحة الكتاب ((السكان المنتشرون على سطح الارض متباينون أشد التباين. مالذي سبب هذا التباين؟ الجواب الذي يقدم عادة هو الجنس. ولكن الجنس لايشرح شيئا لأنه يجب ان نكتشف مالذي اوجد الجنس. ان العامل الاول والحاسم في تباين الشعوب وتباين الاجناس هو الطريق الذي تسلكه الشعوب انه الطريق الذي خلق الجنس والطراز الاجتماعي معا)) ، بل ان ديمولان يؤكد في الجزء الثاني من كتابه انه لو اعاد التاريخ نفسه فلن يتغير فيه شيء لآنه سيكون استجابة لنفس مقتضيات البيئة.

من هذه الاراء يتضح ان ديمولان تجاهل كغيره من دعاة الحتمية عاملي الوراثة والسلالة كما ان آراءه الاجتماعية كانت كآراء أستاذه (هنري دتورفيل) سطحية الى حد كبير، ذلك لأنه إتخذ أساس دراسة الاسرة دون الاهتمام بالعناصر الاكثر تعقيدا في النظام الاجتماعي.(٥٣)
ولعل من ابرز دعاة المدرسة الحتمية في امريكا الانسة سمبل التي تعتبر من أخلص تلاميذ مدرسة راتزل كما تعتبر من غلاة الحتميين في كتابها الخاص ب(تأثيرات البيئة الجغرافية) وقد قصدت منه دراسة اراء استاذها راتزل وعرض افكاره التي وضعها عن جغرافية الانسان الى قراء الانكليزية. ويمكن ان توضح السطور التالية الحماس الشديد الذي اظهرته سمبل للمدرسة الحتمية البيئية ((ان الانسان من نتاج سطح الارض _ وهذا لايعني انه ابن الارض تراب من ترابها بل ان الارض ايضا قد ربته واطعمته وشكلت اعماله ووجهت افكاره_ ووضعت امامه الصعاب لتقوي من جسمه ومن عزيمته وأعطته مشاكل الري وفي نفس الوقت همست له بالحلول)) وترى مس سمبل أن تكوين الانسان الجسماني ايضا مرتبط بالبيئة فتقول في نفس المقدمة ((ان الارض تخللت عظامه ولحمه وعقله وروحه ، ففي مناطق الجبال اعطته عضلات ارجل من حديد ليتسلق المنحدرات بينما في السواحل تركت عضلات ارجله ضعيفة واعطته بدلا عنها صدرا واسعا قويا وذراعا قادرا على التجذيف.(٥٤)

ولقد تضمن كتابها اراء حتمية على وتيرة واحدة بدءا من مقدمتها والى نهايتها. وان مافي كتابها من الاراء والتفاصيل مالايمكن تلخيصه في هذه السطور ولكن يمكن القول بأنها طرقت موضوعات لم يطرقها أحد من قبلها وبالرغم من بعض النقص ومن تحميل النتائج اسبابا لاتحتملهافي كثير من الاحيان، ومن الخروج بنظريات لايمكن الموافقة عليها، فان كتاب مس سمبل يعتبر من اهم كتب الجغرافية الحتمية ومن اهم الاعمال الجغرافية البشرية التي ظهرت باللغة الانكليزية حتى العقد الثاني من هذا القرن.(٥٥) ومن دعاة المدرسة الحتمية في امريكا ايضا هناك الاستاذ (هنتنكتون) الذي اهتم في حياته الوظيفية الاولى بالجيولوجية ولكنه تحول الى دراسة المناخ وتأثيراته على الانسان. فكتابه المشهور (الحضارة والمناخ) جاء بشكل قواعد تفسر التفوق والتأخر الحضاري للمجتمعات البشرية. كما اهتم بتأثير التعاقب الجفافي كعامل من عوامل التاثير لأحد عناصر الجغرافية الطبيعية وهو المناخ على الجغرافية البشرية والتاريخية لقارة آسيا. وكان يعتقد بأن تفوق المانيا حضاريا وصناعيا يرجع الى مناخها المنعش. وقد اثارت مثل هذه الافكار النقاش بين الجغرافيين. وانتقدت نظرياته باعتبار محتواها غير واقعي.

وقد ألف كتبا دراسية أخرى وذلك من خلال اتفاقه مع الاساتذه الاخرين منها (أصول الجغرافيا البشرية) وكانت نتاجاته العلمية واسعة وضخمة وجميعها تؤكد على تأثيرات البيئة الطبيعية على اعمال وفعاليات الانسان.(٥٦)

وقد واصل دراسة التاثيرات البيئية حتى منتصف القرن الحالي في جامعة ييل، لقد كان هنتنكتون بحق من العلماء المنتجين وقد عرف بكتبه المرجعية فهو صاحب مدرسة فعلا وليس في الامكان الدفاع عن مسألة الحتم البيئي التي كانت اساس الهجوم عليه، كما ليس في المستطاع في ذات الوقت انكار اهمية المناخ والتربة والمياه والمظاهر السطح بالنسبة الى الجنس البشري. ومع ذلك فان تفسير تنوع السلوك البشري نتيجة لاختلاف ضروف البيئة الطبيعية يعتبر ببساطة شكل من اشكال عبادة الشمس كما يقال في الغرب. وبدلا من ذلك فان هناك حاجة الى وعي خاص بالعوامل الطبيعية والثقافية التي تشكل تنوع او اختلاف الجنس البشري على سطح الارض. ولقد اكتسب هذا الاعتقاد مكانه بارزة في الدوائر الاكاديمية خلال العشرينات، بل اصبح هو الرأي السائد في الثلاثينات من هذا القرن، وبما ان ذلك كثيرا ما يحدث من خلال تطور النظم العلمية فان التعليم الجغرافي في المدارس الابتدائية والثانوية إستمر لفترة من الزمن يمارس التأكيد على الكم البيئي في الوقت الذي نفضت منه الدراسات الجغرافية الجامعية يديها تماما.(٥٧)

ثانيا: المدرسة الامكانية

يقف اصحاب هذه المدرسة على الضد من اتجاهات المدرسة السابقة، والحقيقة أن المدرسة الامكانية لاتنكر اثر الضروف الطبيعية او البيئة في الانسان، ولكنها في الوقت ذاته ترفض ان تكون العلاقة بين الانسان والبيئة علاقة حتمية، وتؤكد حرية اختيار الانسان من إمكانيات عديدة يختار منها ما يشاء كما تؤكد استجابة الانسان لظروف البيئة وليس خضوعه لها.(٥٨)

وعلى الرغم مما في كتابات المؤمنين بالحتم الجغرافي من صواب في كثير من الامور فان الجغرافيا الحديثة لايمكن ان تسير على نهج هذا التفكير في كثير من الحالات. ذلك لأن الجغرافيا لايمكن ان تتجاهل اثر الانسان الكبير في تغيير وتعديل البيئة الطبيعية واستغلالها بعد ان يخضعها لمصلحته ولمنفعته ودراسة مافعله الانسان في البيئة الطبيعية تظهر ان الانسان عامل ايجابي في معظم الحالات، وان البيئة الطبيعية وحدها لايمكن ان تفسر كثيرا من المظاهر البشرية المختلفة والمتنوعة والمتشابهة.

وتشابه البيئة الطبيعية لاينتج بالضرورة انماطا بشرية متشابهة لأن ذلك يرتبط بطبيعة الانسان ومقدرته الجسمية ومستواه العقلي وتنظيمه السياسي والاقتصادي، ومطالبه ورغباته وتكوينه الاجتماعي، كما يرتبط بنواح كثيرة متعددة اغلبها مرتبط بالضروف البشرية.(٥٩)

لذا فقد شهد مطلع القرن العشرين ثورة جغرافية كبرى على المدرسة الحتمية التي سادت بين كتاب القرن الماضي حيث كان الاعتقاد السائد حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ان مجال الجغرافي هو دراسة الظواهر الطبيعية دون الاشارة الى الانسان. وكان لتقدم الجغرافيا الاقليمية والبشرية على يد فيدال دي لابلاش في فرنسا وهتنر في المانيا اثره الفعال على وضوح فكرة الجغرافيا البشرية ولم تعد البيئة مجرد البناء الطبيعي او الفيزوغرافي وانما اصبحت أيضا البناء البشري فاصبحت بذلك شيئا مركبا يربط بين عدة ظاهرات طبيعية وبشرية في علاقات حيوية.(٦٠)

ولقد كان للتقدم العلمي التكنلوجي، الذي حققه الانسان متغلبا به على الكثير من المعوقات الطبيعية، ان فسح المجال لظهور مثل هذا الاتجاه في الدراسات الجغرافية والتي وجدت جذورها عند فيدال ي لابلاش أولا ثم لدى لوسيان فيفر وجين برين وكارل ساور فيما بعد.(٦١)

وكان (لوسيان فيفر) من أشد المتحمسين للمدرسة الامكانية، ومن أعنف المهاجمين للمدرسة الحتمية(٦٢) وقد عمد الى اقامة البراهين على ضيق أفق أصحاب مدرسة الحتم الجغرافي وفند أراءهم.(٦٣) ويعد كتابه عن الارض والتطور البشري اضافة للفكر الجغرافي في هذا الصدد. ويرى (فيفر) (ان الانسان هوالذي يلعب الدور الاول في مسرحية العلاقات العامة الدائمة والوثيقة بينه وبين الطبيعة. إنه يستمر في استخدام الطبيعة لاغراضه. وهو في استخدامه لها، بل لأجل هذا الاستخدام، يتدخل فيها ليجعلها تخدم أغراضه. أما الذي يؤثر فيه فهو قوة داخلية، قوة نعرفها جميعا ، انها مصالحه).(٦٤)

ولقد تبنى جغرافيون من خارج فرنسا افكار المدرسة الامكانية في كتاباتهم. فقد كان من المتحمسين لها في بريطانيا روكسبي وفلير وفي امريكا بومان وكارل ساور كما سبق ذكره.

فروكسبي من كبار قدماء الجغرافيين في بريطانيا (١٨٨٠_ ١٩٤٧) وكذلك فلير ولقد حاول روكسبي في عام ١٩٣٠ ان يحدد موضوعات الجغرافية البشرية ويشرح مراميها فموضوعاتها الجغرافية في رأيه تتلخص في:

١-تكيف الجماعات البشرية للبيئة الطبيعية ودراسة تجاربها في حدود بيئتها.
٢-العلاقات بين سكان الاقاليم المتباينة بعد ان يكونوا قد كيفوا آنفسهم مع ظروف البيئة وعدلوا منها ووجهوا نشاطهم حسبما يناسب هذه الظروف.

فيما كان موضوع الاهتمام ومحور الدراسة عند فلير هو تكيف الانسان وبقية الكائنات لظروف المناخ. وفي هذا يقول على سبيل المثال(ان سكان افريقيا الاستوائية، وعلى الاخص الزنوج الانقياء، احياء تكيفت أجسامهم للتخلص من حرارتها باسرع مايمكن) ويرتبط بهذا الموضوع ايضا ما افترضه فلير من وجود خصائل خاصة بكل سلالة او جنس، فالسلالة الالبية مثلا تميل الى الحياة القروية التقليدية وتتقن تلك الصناعات التي تحتاج مهارة ودقة.[٦٥]

ولقد كان لاستحداث فكرة الاقليم البشري في اوائل القرن العشرين وكتابات فلير عن الجغرافية البشرية عامة وفي اوروبا الغربية خاصة اثرها الواضح نحو تقدم ووضوح فكرة الجغرافية البشرية.[٦٦] ولابد لنا من وقفة عند منهج مؤسس المدرسة الامكانية (فيدال دي لابلاش) فهو يتلخص في تأكيد وحدة الجغرافيا وليس هناك في رأيه جغرافية بشرية بغير الاساس الطبيعي. كما انه لاسبيل الى ابراز تلك الوحدة إلا باتباع المنهج الاقليمي. فضلا عن ذلك فانه ليس من طبيعة الجغرافية في شيء ان تضع قوانين جغرافية وان كانت تنجح في خلق التعميمات[٦٧]. وقد وضع منهجا قائما على مبادئ ستة اعتبرها الاساس في الجغرافية الفرنسية والتي بقيت سائدة حتى الربع الاول من القرن الحالي وهي:-

١-وحدة الظواهر الطبيعية، اي ان الظواهر الطبيعية يعتمد بعضها على بعض.
٢-ملاحظة مايطرأ على الظواهر الطبيعية من تحولات وتعديلات وخاصة مايرتبط منها بالمناخ.
٣-عناية الجغرافيا بجميع الظواهر التي تظهر على سطح الارض.
٤-الحاجة الى الاعتراف بقوة البيئة في اشكالها وانواعها المختلفة مثل المناطق النباتية حول الارض واقلمة الانسان لحياته في تلك المناطق.
٥-الحاجة الى طريقة علمية لتعريف الظواهر الطبيعية والبشرية المختلفة وتقسيمها.
٦-الاعتراف بالدور العظيم الذي يقوم به الانسان في تعديل بيئته الاساسية.[٦٨]

وعلى كل حال فرأي هذه المدرسة وهو السائد في الدراسات الجغرافية الطبيعية انه ليس هناك ضرورات، بل توجد امكانات. وبما ان الانسان هو سيد هذه الامكانات والمسيطر عليها.

فهو الذي يحدد استغلالها ولهذا السبب يجب ان يوضع الانسان في المكان الاول. وليست عناصر البيئة الطبيعية ثابتة الى حد كبير اذا ابعدنا عنها اثر الانسان ولكن نشاط الانسان ورغباته قد جعلت من هذه العناصر البيئية عوامل متغيرة متحركة كنتيجة لتغير وتحرك الانسان نفسه.[٦٩]ويقوم الاعتراض اساسا بين كل من المدرستين الحتمية والامكانية على تفرد الطبيعة عند رواد المدرسة الأولى وتفرد الانسان عند الفريق الثاني. ويبدو صحيحا ان حدة المناقشة بينهما اثمرت عن اضافات علمية كثيرة ومتنوعة في الفكر الجغرافي الحديث لكن الصحيح ايضا في ان ذلك اسفر عن ظهور اتجاه جديد في الدراسات الجغرافية اقتضته الواقعية وافرزته الحقائق العلمية وقد رفض دعاة هذا الاتجاه الجديد في الجغرافيا الانحياز الى اي من القطبين[٧٠] وقد جاء دعاة هذا الاتجاه الجديد في الجغرافيا باراء جغرافية تؤمن من جديد بالحتمية ولكنها لاتتغالى في اعطاء البيئة كل الاهمية ولذلك تعتبر اراء حتمية معتدلة توفق بين الاراء الحتمية والأمكانية في اغلب الاحيان. ويمكن تسمية هذا الاتجاه بالاتجاه التوفيقي او المدرسة التوفيقية وقد تبنى هذا الاتجاه في دراستة العلاقة بين الطبيعة والانسان باسلوب تحليلي عميق ايمانا منه بان المتغيرات الجغرافية هي حصيلة تفاعل هذين القطبيين، كل بمقدار فعله وتأثيره[٧١]. ويمثل هذا الاتجاه الجديد اصدق تمثيل جريفث تايلور، الذي يرى بان البيئة أشبه بشرطي المرور الذي يسمح بالسير او يوقفه او يغير من سرعته ومن هنا استخدم (stop-and-go-determinim) فاستغلال البيئة لايمكن ان يكون كله من عمل الانسان بل لابد من صلاحية البيئة ومساعدتها. كما أن وضع تخطيط لتطوير اية منطقة من مناطق العالم لايتم حسب اختيار الانسان وحده، بل يجب ان يكون منسجما مع البيئة وظوابطها. وامكانيات البيئة غير متساوية والفرص التي تقدمها مختلفة من مكان الى اخر فبعضها يحتاج الى مجهود بشري ضئيل، وبعضها الاخر يحتاج الى صراع دائم وبعضها ينتج الكثير وبعضها قليل الانتاج وهكذا. صحيح ان الأنسان هو الذي يختار وهو الذي يبذل الجهد ولكن هي التي تعطي وتستجيب والانسان لايستطيع تغيير الاوضاع الطبيعية تغييرا جذريا بل هو قادر فقط على تعديلها وتهذيبها لمصلحته والواقع ان الفروق بين الامكانية والحتمية الجديدة ليست كبيرة. ومن السهل التوفيق بينهما[٧٢]. ولاشك في أن قدرات الانسان في السيطرة على فيضانات الانهار او كبح جماحها. أو في زراعة سفوح الجبال والمرتفعات وعمل السدود والخزانات والجسور والانفاق والتفنن في استخدام موارد الارض بما يملكه من وسائل وامكانات تختلف مكانيا وزمانيا.[٧٣]

تطور المنهج في الجغرافية الحديثة:

تولدت االحاجة الى المعرفةالجغرافية مع وجود الانسان على سطع الارض وتفاعله مع بيئته الأمر الذي مهد السبيل لدراسة هذه البيئات التي يعيش فيها او تلك التي تجاوره كلما استطاع ان يوسع من دائرة تنقلاته واتصالاته، وتفنن في استغلال تلك البيئات تبعا لتزايد وتنوع حاجاته، ان تطور المعرفة الجغرافية هذا قد عمق علاقات الانسان ببيئته ومن ثم فقد تعددت طرق الدراسة، وتنوعت مناهجها باختلاف البيئات، وطريقة نظر الجغرافيين اليها، والوسائل المهيئة لدراستها.(٧٤) هنا ستتم محاولة مناقشة وتحليل بعض المفاهيم الخاصة بعلم الجغرافية. ذلك أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بما تم بحثه في الجزء السابق حول تطور علم الجغرافيا، وهي بالتالي تكمل صورة هذا التطور. وبالاضافة الى هذا وذاك فانها قد تساعد على تفهم المنهج العلمي للجغرافية الحديثة.

الجغرافية علم الارض_مدرسة اللاندسكيب:-

لازال لهذا المبدأ اتباع ويدل على ذلك وجود جامعات في بعض اقطار العالم كاستراليا تتبع فيها كلا من الجغرافيا والجيولوجيا قسما واحدا يطلق عليه قسم علوم الارض.وكان من اوائل المنادين بهذا المفهوم في القرن التاسع عشر (جيرلاند) والذي يقول بان موضوع الجغرافية يمكن استخلاصه من اسمها سواء كان هذا الاسم هو الكلمة الاغريقية(geography) أو الكلمة الألمانية البديلة (علم الارض) erdkunde فكلتا الكلمتان لاتغيران الحقيقة القائلة بان الجغرافيا لاتخرج عن كونها علم الارض وفي رأيه أن هذا الاستنتاج التعليلي القائم على المعنى الحرفي للكلمة تؤيده افكار كانت وريتر. ومن وجهة نظر علمية وموضوعية صرفة وجد (جيرلاند) بان الارض مثل ملايين الوحدات الاخرى في هذا الكون الواسع عبارة عن مركب من المواد في حالة تغير، على ارتباط وثيق فيما بينها ومتصلة فيما بينها اتصال ترابط بقوى متنوعة لتكون مايسمى (بوحدة الكل) برغم تعرضها لمؤثرات وعوامل خارجية وعلى وجه الخصوص من الشمس وعلى هذا فان موضوع الجغرافيا وغرضها دراسة العلاقة المتبادلة لهذه القوى والتغيرات الناتجة من الموارد الارضية واستنادا الى تعريف جيرلاند للعلم على أنه المنطق المحدد للعلم الطبيعي والذي يطلب استنتاجات محددة وقوانين مؤكدة فالجغرافية البشرية التي تتعامل مع الامكانات ليست علما. واستنادا الي تعريفه للارض فان موضوع الجغرافية الذي يدرس الارض يبحث في كل ماتدرسه الجغرافية وكذلك الجيوفيزياء والجيولوجيا .(٧٥)

ومن الملاحظ ان جميع القواعد المنهجية في الدراسات الجغرافية قبل (ريشتهوفن) كانت تركز على أن الارض كلها هي المجال الرئيسي لمواضيع علم الجغرافية، فيما انحصرت مثل تلك الدراسات بعد ذالك بالقشرة الرقيقة من سطح الارض، الامر الذي أدى الى تحقيق تحول في مفهوم علم الجغرافية من كونه دراسة علم (الارض)الى دراسة سطح الأرض[٧٦]. وبالاخص حينما ألقى خطابه الافتتاحي في جامعة (لايبزغ)عام ١٨٨٣وفي هذا الصدد يقول (هارتشهورن)بانه (اذا اعتبرنا العالم انه المجال الطبيعي للجغرافيا كما هو في التطبيق فانه من الظروري محاولة وضع تحديد دقيق لمفهوم سطح الارض فعلى الرغم من ان مشكلة البيولوجيين تبدو بسيطة من حيث ميدان دراستهم والذي يتناول الكائنات الحية الا انهم قد يجدون صعوبة كبيرة في اعطاء تحديد دقيق للحياة. وبالمثل ينبغي ان لا يشغل الجغرافيون انفسهم بعمل حدود دقيقة بين الظواهر السطحية بحيث تمنعهم من التعمق الى اسفل سطح الارض)[٧٧]، مع ذلك فمن الواجب الاعتقاد بأن على الجغرافيا أن تحصر دراستها في سطح الارض باعتباره ميدانه الحقيقي وان اضطر الى التعمق الى مادون ذلك او فوقه فليس معنى ذلك ان ميدان دراسته قد اتسع ليشمل مادون سطع الارض بل ان عليه ان يعتبر مادون السطح كميدان مساعد له وان العلوم التي تدرسه علوم مساعدة له.

وطبيعي جدا ان لا يكون هناك علم بمقدوره الانفراد بمادة او بميدان من الميادين فسطح الارض تدرسه بالاضافة الى الجغرافيا علوم اخرى. هذا الاشتراك في الميدان بين العلوم يكمن اوجه الاختلاف بينها في الهدف والغاية التي يسعى كل العلم للوصول اليهما ويرمي اليهما. ولهذا السبب حل مفهوم سطح الارض او ما يسمى بمدرسة(اللاندسكيب)محل مفهوم(الجغرافياهي علم الارض)وقد اكتنف المفهوم الجديد كثير من الغموض لأن الكلمة تحمل معنيين في اللغة الالمانية وهي اما المظهر العام لقطاع او جزء من سطح الارض المرئي. او اقليم معين من سطح الأرض فالأول يقابله في الانكليزية مصطلح (landscape) والثاني يدل على الاقليم. وقد فسر هارتشورن هذا الالتباس وشرح بالتفصيل المعنى المزدوج لمفهوم اللاندسكيب كما ورد في كتابات الجغرافين الالمان ولقد نقل (كارل ساور) هذا الالتباس الى الادب الجغرافي الامريكي وذلك في مقاله الشهير (مورفولوجية الاندسكيب).

ان مدرسة اللاندسكيب لاتزال موجودة وممثلة في كتابات بعض الجغرافين امثال "ستانلى بيفر" و ابلتون وكريغ في بريطانيا وكري في كندا وسلفيا جلفسك في بولندة.[٧٨]

الجغرافية علم العلاقة بين الانسان والبيئة الطبيعية(مدرسة البيئة):-

ترجع اصول هذه الفكرة الى المدرسة الالمانية ونقلت بصورة مشوهة الى الولايات المتحدة بواسطة (الن سمبل) حيث انتشرت هناك واصبحت من الاراء السائدة بين عدد كبير من الجغرافيين الامريكان لفترة من الزمن.(٧٩) حيث ساد استخدام هذا التعريف لمدة خمسين عاما على الاقل في المدرسة الجغرافية الامريكية فضلا عن المدرسة الجغرافية الانكليزية.(٨٠) وركز الجغرافيون طوال هذه الفترة في ابحاثهم ودراساتهم على تفهم العلاقة المركبة بين الطبيعة والانسان. وقد انحصر المنهج الجغرافي تبعا لذلك في العلاقة بين البيئة وعنصر واحد من عناصرها وهو الانسان.(٨١)

ويبدو ان كتابات دارون قد الهمت الجغرافين خلال المئة سنة الماضية بصورة مباشرة او غير مباشرة وهكذا كتابات اتباعه وتلاميذه من بعده بحيث انهم اهتموا جميعا بمن فيهم دارون نفسه بالرحلة الجغرافية والدراسة الميدانية للمواقع الجغرافية. ومنهم والاس وهكسلي وبيتس.

الا ان الأثر الأكثر وضوحا لنظرية التطور تمثل في دراسة أشكال سطح الارض وهو حقل عمل فيه دارون اثناء رحلاته البحرية في السفينة(بيجل) وذلك حينما قام بوضع نظريته المعروفة عن تحول القطع المرجانية الى جزر مرجانية عن طريق عملية هبوط بطيئة لقواعدها عبرة فترة من الزمن. ومن هذا المنطلق يكون (وليم موريس ديفز) قد استمد فكرة الدورة الجغرافية من التطور.

اما تأثير نظرية التطور لدارون والذي يهمنا في هذا المقام فيبدو من خلال فكرة التنظيم الايكولوجي والتي تقوم على اساس العلاقات المتبادلة والاتصالات بين جميع الكائنات الحية وبيئاتها. ويعود الفضل في تطوير هذه الفكرة الى عالم الاحياء السويسري (ارنست هيكل) في علمه الجديد الذي اطلق عليه الايكولوجيا اي علم التبيؤ.(Ecology). (٨٢)

وجدير بالذكر ان دراسة علاقة الظاهرات المختلفة بالبيئة ليست وقفا على الجغرافيا والجغرافيين فهناك علوم اخرى تدرس هذه العلاقة. وتهتم به نذكر منها على سبيل المثال علم النبات الذي نمت داخله دراسة علاقة النبات بالبيئة واصبحت تمثل فرعا ان لم تعد علما له كيانه يحمل اسم ايكولوجيا النبات. غير ان دراسة الايكولوجية، أي العلاقة بالبيئة في الجغرافيا تتميز عنها في سائر العلوم، اذ انها تشكل جزءا هاما لايتجزاء من المنهج الجغرافي، كما انها تحفظ لعلم الجغرافيا وحدته، حيث ان تجاهل دراسة العلاقة بالبيئة،

وبين عناصر الجغرافية بعضها والبعض الاخر، سيؤدي بالنتيجة الى تشتيت اوصال الجغرافيا الى علوم طبيعية وأخرى بشرية، ويؤدي بالجغرافيين الى التعدي على هذه العلوم الاصولية ويتحول الجغرافي بهذا الى غير متخصص يلم بطرف من مختلف العلوم دون التعمق فيها.(٨٣)

ولقد تفاوتت مواقف الجغرافيين ما بين معارض ومؤيد بشان مسألة العلاقات او الترابط بين الظاهرات الجغرافية المختلفة داخل الاقليم الواحد مابين مؤيد لذلك ومعارض له.

ان هذا المفهوم البيئي الذي يرى بان الجغرافيا هي علم العلاقة بين الطبيعة والانسان او تكيف الانسان مع بيئته، وجهت له كثير من الانتقادات، كونه حصر العلاقة بين البيئة وعنصر واحد من عناصرها وهو الانسان (٨٤) في الوقت الذي يؤكد فيه(هتنر) على ان الجغرافيا تتبنى في دراساتها للعلاقات المذكورة، الصعيدين: المكان الواحد، والامكنة المتعددة. فيما يرى فريق اخر من الجغرافيين ان الجغرافية لاتتقيد في دراستها بظواهر سطح الارض بقدر ما تهتم بالعلاقات القائمة بينها. فالجغرافيا في نظرهم " علم العلاقات المكانية"(٨٥) ويمكن تلخيص اوجه النقد التي وجهت، الى تعريف الجغرافيا كعلم العلاقات فيما يلي:

أولا:اذا اعتبرنا البيئة الطبيعية هي العامل الجغرافي كما عبر بعض الجغرافيين وكثير من العلماء الاجتماع، فان الجغرافية في هذه الحالة تصبح مجرد دراسة تاثير هذا العامل على الانسان، فيضطر الجغرافي الى البحث عن هذه العلاقة بل وافتعالها مما يؤدي في النهاية به الى اللاموضوعية في الدراسة ومن ثم الانظمام الى غلاة الحتم الجغرافي.

ثانيا: باعتبار ان الجغرافيا علم العلاقة فانها لاتعني بدراسة كل من الظواهر الطبيعية والبشرية في حد ذاتها بل تقتصر على العلاقات هذا من جانب ومن جانب أخر فانه يمكن تجاهل الظاهرات الطبيعية في الدراسات الجغرافية، بينما لايمكن تجاهل دراسة الظاهرات البشرية والنتيجة التي تترتب على ذلك هو تحول الجغرافيا الى علم اجتماعي مثله كمثل علم الايكولوجيا البشرية فتفقد صلتها بالعلوم الطبيعية. وقد اوضح ذلك نفر من جغرافيي اليابان حيث أعلنوا فراق ذات بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا. وأنه لم يتبق للجغرافيا إلا الجوانب البشرية. ومعنى هذا أنه لا توجد جغرافية للمناطق غير المأهولة وأنه بخلو الارض من البشر تختفي الجغرافيا.

ثالثا:إن إقتصار علم الجغرافيا على دراسة العلاقات يفقد هذا العلم وحدته ويشبهه بالعديد من العلوم التي يدور مجال إهتمامها في تلك الجوانب الايكولوجية مما يفقد ذلك علم الجغرافيا شخصيته المتميزة بين سائر العلوم وليست الايكولوجيا بعلم قائم بذاته ولكنها منهج من مناهج البحث العلمي تستخدمه الجغرافيا وعلوم أخرى كثيرة(٨٦).

الجغرافيا علم التوزيعات (مدرسة الموقع):-

ان هذه المفهوم ظهر بين اصحاب مدرسة الموقع والذي يعرف الجغرافيا على انها (دراسة مواقع الظواهر او توزيعها على سطح الارض وتباينها والعلاقات بينها) وتعود جذور هذه المدرسة الى(مارث marth)في الربع الاخير من القرن التاسع عشر حيث وصف الجغرافيا على انها (دراسة اين توجد الاشياء) او انها علم التوزيع وقد تطور مفهوم هذه المدرسة حديثا وظهر باقوى اشكاله في نظرية الموقع location theory التي يعتقد اصحابها ان لكل ظاهرة جغرافية موقعا من سطح الارض يميزها عن غيرها، لكن لاتوجد هذه الظواهر الجغرافية معزولة بل ترتبط مع بعضها ويمكن قياس درجة الارتباط اذا امكن قياس الظاهرة. لذلك فان مميزات هذه المدرسة اعتمادها على الطرق الاحصائية والرياضية في بحوثها الجغرافية. وتقترن اسماء كثير من الباحثين وخاصة من الاقتصاديين والجغرافيين بنظرية الموقع منهم على سبيل المثال (فون تونن وهوفر ولوش وويبر) وحديثا يمكن ذكر بيري وماربل وبرش وكاريون وغيرهم من المهتمين بهذا الاتجاه الحديث.(٨٧)

وقد لقي هذا المفهوم نقد شديدا من لدن جغرافيي القرن التاسع عشر واوئل القرن العشرين بحكم قصوره فمن الانتقادات هو عدم وجود حدود للمواضيع التي تهتم الجغرافيا بتوزيعها على سطح الارض سواء ماتعلق منها بالجغرافيا ومالم يتعلق، ومن الانتقادات الاخرى ايظا ان التوزيع منهج علمي تستخدمه علوم اخرى كثيرة كالجيولوجيا وعلماء النبات والحشرات والاجتماع... الخ فليس التوزيع حكرا على الجغرافيين كما ان من الانتقادات الاخرى عليها ان تعريف الجغرافيا بعلم التوزيعات واختصاصها بتوزيع اى شى من شانه ان يجمع داخل الجغرافيا اشياء وظاهرات متنافرة مما يفقد الجغرافيا وحدتها، والوحدة والتجانس شرط اساس لعلمية هذا العلم ولايعني ذلك ان الجغرافية لاتتعرض للتوزيع بل انه نقطة البداية الحقيقية لدراسة اي ظاهرة جغرافية ولكن الجغرافيا اوسع واشمل بكثير من مجرد اهتمامها بتوزيع ظاهرة ما او مجموعة من الظاهرات توزيعا مكانيا على خريطة(٨٨).

ولحسن الحظ فقد تجاوز الجغرافيون مرحلة التوزيعا كما استطاعوا من قبل تجاوز الوصف، فالبعض اعتبر التوزيعات مقدمة لدراسة الارتباط وتحليلها واطلق على هذا المسلك مسلك تحليل الانظمة والذي يستعين كثيرا بالهندسة الرياضية والتوبولوجيا. ولقد طرأ تطور كبير على هذا الاتجاه باحتكاك الجغرافيين وإتصالهم بالعلوم الاجتماعية وبخاصة الاقتصاد، فالاقتصاديون دون سواهم قاموا بتطوير نظرية الموقع بدءا بالاقتصادي فون تونن كما سبقت الاشارة.[٨٩]

الجغرافيا علم العلاقات المكانية

لعل شيفر من اكبر رعاة هذا المفهوم وانصارة والقائل بان الجغرافيا هي علم العلاقات المكانية اذ يرى بان علم الجغرافيا لا يهتم بالاقاليم بذاتها، وانما يدرس العلاقات المكانية. ويقول في هذا الصدد ((ينبغي علي الجغرافيا ان لا تولي اهتمامها الى الظواهر بذاتها وانما الى تنظيمها المكاني في المنطقة وان العلاقات المكانية هي مركز الاهتمام في الجغرافيا ولا شى سواها)). اما (براين بري)والذي تتلمذ عل كتابات شيفر فانة يعكس نغمة استاذة ويرددها قائلا((ان وجهة نظر الجغرافيا مكاني. ان المفاهيم المتكاملة للجغرافي وعملياته ترتبط بالتنظيمات المكانية والتوزيعات وبالتكامل والتفاهم المكاني والتنظيم وما يتصل به من عمليات مكانية)).

ولعل اهم مفهوم للعلاقات المكانية يتركز علي بعض افكار الحركة في المكان والتي تظهر في بعض الاصطلاحات مثل التفاعل والتداول والتدفق والنقل ومن ابرز الجغرافيين الذين كان لهم السبق في مثل هذه المصطلحات (كراو)الذي بين اهمية التفاعل الخاص بالعلاقات المكانية منذ اكثر من خمسين عاما وقد سار علي نهجه اولمان وتستعين الدراسة الجغرافية وفق هذة المفهوم بالطرق الاحصائية واكتشاف درجة الاقتران بين المظاهر المدروسة وباقي الظواهر الاخرى ذات العلاقة معها وهذا يعتمدعلى طرق احصائية ورياضة انتهجتها الجغرافيا بعدالستينات واصبحت نهجا واتجاها جديدا في الجغرافيا الحديثة.[٩٠]وبهذه الطريقة تحولت الجغرافية من الطريقة الوصفية الى طريقة يمكن بها اصدار التعميمات والقوانين التي تحكمها الظاهرة ويمكن تطبيق مثل هذا المنهج على الجغرافية الطبيعة وعلى الجغرافيا البشرية[٩١]

ومن اسباب اتجاه الجغرافية الى هذا الاتجاه هو تباين توزيع الظاهرات الجغرافية على سطع الارض وتباين الروابط القائمة بينها، وبهذا الاسلوب تصبح الجغرافيا كباقي العلوم الاخرى علمية...متقدمة[٩٢].

الجغرافياعلم التباين المكاني(المدرسةالاقليمية):-

يعتبر هذا المفهوم من اقدم المفاهيم الجغرافية ان لم يكن اقدمها على الاطلاق فمنذ اكثر من الفي عام والجغرافيا وفق هذا المفهوم تركز على وصف الارض وتحاول تقسيمها الى أقسام او اقاليم متمايزة لكل خصائصه وصفاته ومميزاته.

وقد كانت الدراسة الاقليمية تحضى باكبر قدر من الاهتمام والتقدير على اعتبار انها المحور الذي تدور الجغرافيا حوله كما ان الظواهر لا يمكن فهمها وتحليلها دون الاقليم الذي توجد فيها. وقد اشاد كل من همبولت وريتر بالدراسات الاقليمية على الرغم من اختلافهما في المسلك ففي حين يرى (همبولت) بان الجغرافيا العامة يجب ان تسبق الدراسة الاقليمية، نجد ان (ريتر)على العكس منه يعتقد بان البداية يجب ان تكون للاقليمية [٩٣]. والجغرافيا حسب راي (هتنر)ليست علم الارض فحسب، بل هي علم كورولوجية سطح الارض، ونقصد بالكورولوجيا التباين الاقليمي وكلمة (الكورولوجيا) وكوروجرافيا اغريقية الاصل اشتقت من كلمة(Chore)اي منطقة او اقليم. ويتخلص منهج هتنر في ان الجغرافيا هي دراسة العلاقة بين الطبيعة والانسان في اطار اقليمي، وهي تهدف بذلك اساسا الى دراسة الاقاليم من حيث الوصف والتحليل والتفسير[٩٤].ويقول (لوكرمان)بان الاقاليم هي موضوعات البحث الجغرافية بلا منازع فهنا في الاقليم نستطيع ان نتعمق في اصوله[٩٥] .

ان مفهوم التباين المكاني لازال يحضى بالانصار والمؤيدين والمدافعين عنه والذين يؤمنون بان التباين المكاني هو هدف كل دراسة جغرافية جادة، ويقود هذا الاتجاة الجغرافي الامريكي المعاصر (ريتشارد هارتشهورن)الذي يقول ((ان اهتمام الجغرافيا يتمثل في الوصف الدقيق والمنظم والمعقول ،وفي التفسير للخاصية المتغيرة لسطح الارض)). ومن اجل ان تؤدي الجغرافيا هذا العمل الكبير فان على الجغرافيين كما يقول هارتشهورن ((الاهتمام في البدء ببناء الاقليم او بما يطلق عليه بالتباين المكاني لسطح الارض))[٩٦].

والاتجاه في الجغرافيا الاقليمية في الوقت الحالي هو التركيز على الاقاليم الوظيفية. او الاقاليم من زاوية موضوع واحد، هذا بالاضافة الى ملاحظات (بورشير وتشيزولم)التي توحي باجابة اخرى لسؤالنا فقد كتب بورشير (وترى اللجنة ان اهم مشاكل الجغرافيا هي فهم نظام العالم المعقد المتشابك الذي يشمل الانسان والبيئة الطبيعية)[٩٧].

الا ان المدرسة الاقليمية قد خفت حدتها وفقدت الكثير من انصارها ومؤيديها بعد ان اصبح الاقليم ليس الميدان الوحيد الخاص بالبحث الجغرافي وكذالك ليس الاطار التقليدي الذي ينهجة الجغرافيون والذين لم يتمكنوا من تعريف الاقليم تعريفا ينسجم مع الاوضاع والتطورات العلمية الحديثة، وبذلك اصبحت الجغرافيا الاقليمية غير قادرة على مواجهة بعض المشاكل مثل اسس تحديد الاقليم وتقرير حجمه الامثل وقد ساهم دخول الاقتصاديين مؤخرا الميدان الاقليمي في مساعدة الجغرافيين في حل بعض المشاكل الاقليمية وكان ذالك بمثابة بعث الروح فيها من جديد بعد ان اذنت على الزوال والاندثار. وقد بحثوا في الاقليم والاقليمية بمنهج علمي متناولين المشاكل النظرية والفرضيات المكانية وبداوا بتطوير الانظمة الاقليمية ويعتبر كل من اوجست لوش ووالتر كرستالر الرائدين في هذا الحقل بما كتباه عن الاقليم والاسس التي تحدد ابعاده ومساحته واشكاله[٩٨].

لقد اصبحت كثير من التعريفات التقليدية للجغرافية والتي تم توضيحها والحديث عنها فيما سبق لاتفي بالغرض حاليا اذا فحصناها مقارنة بكثير من الدراسات التي نشطت في العقود الاخيرة، ومن اهم الملاحظات حول ذلك ان بعض التعريفات السابقة قد عنت ان الجغرافيا هي (دراسة علاقة الانسان بالبيئة) وهي (دراسة الارض كموطن للانسان) فيما كان يعني بعضها الاخر ان الجغرافيا هي(دراسة سطح الارض بما عليه من ظاهرات حيوية اهمها الانسان) بينما بعضها الاخر يبدو اكثر اتساعا ويعرف الجغرافيا بانها(علم العلاقات المكانية).

ومن المؤكد لدي الجغرافيين أن التعريفين الاول والثاني لا يشملان ما يتطرق اليه الجغرافيون في بعض الدراسات. فكثير من كتب المناخ والجيمورفولوجيا والتربة، وحتى جغرافية السكان لاتتضمن مايبرز علاقة الانسان بالبيئة. وفضلا عن الكتب العام. التي تبحث في مساحات شاسعة هناك البحوث التفصيلية. في فروع لاتشير لامن قريب ولامن بعيد الى تلك العلاقة اوتبرزها[٩٩].

ولكن مع ذلك لابد من الاعتراف بان تلك التعريفات كان لها دور في تحديد المنهج في الفكر الجغرافي الحديث بسبب وجود عامل اخر كان له دوره في ذل ألا وهو طبيعة معالجة المشكلات الجغرافية فمثلا التعريف الذي كان يقول بان الجغرافيا تدرس العلاقة بين الانسان وبيئته والذي كان قد اخذ الجانب الاكبر في تلك المعالجات. لذا فان الاقاليم التي تفتقد مثل تلك العلاقات، باتت بعيدة عن متناول الجغرافين[١٠٠] حيث ان هناك اهتماما بسطح القارات وما فيها من دول واقاليم اكبر بكثير من الاهتمام بالمحيطات في الدراسات الجغرافية. كما ان هناك اهتماما بالمناطق المعمورة اكثر من الاهتمام بالمناطق قليلة او عديمة السكان كالمناطق الجليدية والمناطق شديدة الجفاف[١٠١].

وعلى هذا يمكن القول ان الدراسات الجغرافية اصبحت تتجه نحو:

١- الاهتمام بدراسة البقاع والاصقاع والاقاليم التي عمرها الانسان اكثر من الاهتمام بالجهات الاقل عمرانا وسكانا باليابسة اكثر من البحار والمحيطات.

٢- دراسة الانسان ونشاطاته بشكل متزايد مقارنة بتلك التي تناولت الطبيعة، بحيث اخذ المكان لايشكل سوى حيزا صغيرا نسبيا في تلك الدراسات.

٣- التوجه نحو الدراسات التفصيلية والمحددة. والتخلي الى حدما، عن الدراسات العامة او الشاملة لاسيما في البحوث العلمية ويعزي ذلك الى:

ا-الاهتمام بالجانب العمودي في التحليل، اكثر من الجانب الافقي الذي يؤدي الى السطحية والعمومية.

ب-الكشف عن مظاهر ومتغيرات جديدة.

ج-التقليل من الجهد والكلفة.

د-تزايد عدد الدراسات والبحوث الجغرافية، مهد الطريق. لمثل تلك الاتجاهات.

وبناءً على ذلك يتضح لنا بان التعريفات السابقة لعلم الجغرافية قاصرة في اداءها ازاء تحديد المنهج الذي ينبغي ان تتبعه الدراسات الجغرافية الحديثة. لذلك فقد اصبح موضوع الجغرافيا يحدد بوسيلتين تم وضعهما كأسس عامة ومعايير معينة تعطي المعونة في عملية التحديد وهما:

الحيز: والذي به يصبح بالامكان تحديد ميدان الجغرافيا على انه يشمل قشرة الارض ومايعلوها من غلاف على نحو ماسبق شرحه وثانيهما:

الحجم او الوحدة: فالجبال والمنخفضات والهضاب والانهار هي وحدات جغرافية طبيعية. اما المدن والقرى فهي ايضا وحدات جغرافية ولكنها بشرية. والجغرافيا حينما تدرس هذه الظواهر او الوحدات تتناولها ككل متكامل وليس كجزء منفصل عن الكل، وان من صفات الوحدة الجغرافية التي تميزها عن غيرها هو قابليتها للتجزئة. فالمدينة على سبيل المثال وحدة قائمة بذاتها من حيث النشأة والنظام والشكل والترتيب والوظيفة، فهي بذلك مادة ثرة للدراسة الجغرافية. وهي في ذات الوقت وحدة جغرافية لقابليتها على التجزئة كونها تتألف من احياء وكل حي يعتبر في نفس الوقت وحدة قائمة بذاتها ومرتبط مع الاحياء الاخرى وله وظيفة يؤديها. وعلى هذا فالحي يصلح مادة للبحث الجغرافي، ويتألف الحي من شوارع وبنايات والبناية تعتبر وحدة قائمة بذاتها يتأثر شكلها ونوع بناءها بالضروف المحلية فهي اذن تصلح للدراسة الجغرافية. والبناية الواحدة تتألف من حجرات (غرف). ولكن الحجرة لاتعتبر وحدة جغرافية لعدم انقسامها الى وحدات اصغر فهي اذن خارجة عن ميدان الجغرافيا. وهكذا نظام المرور الذي يؤلف مع الطرق والسيارت والمارة والقوانيين التي تطبقها هذه الانظمة. تعتبر موضوعا جغرافيا، بيد ان السيارة كجهاز لايمكن اعتبارها موضوعا جغرافيا كونها غير قابلة للتجزئة، وهكذا بالنسبة للجانب الطبيعي من الدراسة الجغرافية فالغابة على سبيل المثال وحدة تصلح للدراسة الجغرافية، وتتكون الغابة من عدد كبير من الاشجار كما توجد فيها انواع عديدة في الغابة الواحدة. فالاشجار وتوزيعها من حيث انواعها وما تدره من الغلة واثر ذلك بالضروف الطبيعية والبشرية موضوع جغرافي ولكن دراسة الشجرة الواحدة لوحدها. سواء من حيث التركيب والنمو وفسلجتها لاتدخل ضمن نطاق علم الجغرافيا بل هو من اختصاص علم النبات. والحيوان موضوع تناوله الجغرافيون على الشاكلة التي تعاملوا بها مع النبات الا ان دراسة اعضاءه وتشريحها هي من اختصاص علم الحيوان.

والجغرافيا تدرس الانسان على انه وحدة قائمة بذاتها من حيث توزيعه وانتشاره على الارض ونشاطه بينما لاتتعرض لدراسة تشريح اعضاء جسمه ووظائفها لأن ذلك يدخل ضمن مجال اختصاص علم وضائف الاعضاء والتشريح. وتقتصر مهمة الجغرافية على ابراز اختلاف الاجناس بين البشر على سطح الارض.[١٠٢]

وقد شهدت الدراسات الجغرافية ثلاث تغيرات حديثة تستحق الذكر وهي:

١-تزايد التنوع في المواضيع كتطرقها الى مواضيع جديدة لم تألفها الدراسات الجغرافية من قبل مثل جغرافية الاديان وجغرافية الامراض وجغرافية السياحة والترفيه والتي دخلت فيما بعد في الدراسات الاقليمية.

٢-اتجاه مناقض للاول يميل فيه الجغرافيون الى تضييق المحتوى الجغرافي ليشمل دراسة بعض الظواهر وهولاء يفضلون منهج التركيز على الاتصال او الارتباط بين الظواهر. وهو اتجاه مخالف لمنهج الجغرافيا الاقليمية التقليدية حيث كان الجغرافيون يدرسون جميع الظواهر الموجودة في الاقليم لاحتوائها عليه فيفترضون لذلك بعض الارتباطات فيما بينها.

٣-ويمتاز التغير الثالث بكونه يؤكدعلى مظهر الظاهرة وليس على اصلها وتركيبها ومكوناتها لكون ذلك يجرها الى ميدان وميادين علوم اخرى.(١٠٣)

وعلى ايةحال فان المنهج الجغرافي يتميز عن المناهج العلمية الاخرىمن خلال النقاط التالية:

١-الامتداد المكاني (الافقى): ان مفهوم الجغرافيا الملازم لسطح الارض مقياس يتميز به الفكر الجغرافي حيث يؤكد على (المكان)صغيرا كان كالمدينة او القرية او واسعا كقارة من القارات او القارات جميعها.

٢-الامتدادالمكاني (الراسي): ويقصد به الدراسات ذات العلاقة بخارج القشرة الارضية، وتشمل الدراسات المناخية مثلا والتي يمتد تاثيرها الى النبات الطبيعى والتربة والموارد المائية اما اهتمام الجغرافيين بدراسة الفضاء فلم تكن مرغوبة حتى عهد قريب، إلا بمالها من علاقة بسطح الارض، كما اهتموا بالدراسات التى تتصل باعماق الارض ما كان له علاقة بالتضاريس ومكامن المياه الجوفية والثروات المعدنية او بالانسان.

٣-الامتداد الزمني: من المهم في الدراسات الجغرافية تحديد البعد الزمني لاية دراسة ففي البحوث المتعلقة بسكان الارض او اية منطقة بها، او التغيرات في درجات الحرارة والامطار، تقتضي تحديد سقف زمني لها. وغالبا ما ينظر الى الامتداد الزمني على انه دراسة للتطور التاريخي للظاهرة المعنية.

٤-الاهمية النسبية الموضوع :كثيرة هي الدراسات التي يتناولها الجغرافيون لكن ثمة ظواهر او مشكلات تتسم بأهمية خاصة سيما تلك تبرز فيها العلاقات او الارتباطات المكانية بين الارض والانسان، فيعمد الجغرافيون الى اختيارها ميدان للدراسة،

فيما لاتنال ظواهر اخرى مثل ذلك الاهتمام خاصة تلك التي تقف عند هامش اتجاه المنهج الجغرافي .اوتلك التي لاتتضع فيها العلاقات المكانية بشكل او باخر.(١٠٤)

الجغرافيا وصياغة القوانين:

الى جانب التطورات في المنهج الجغرافي، تطورات اخرى تمثلت في الاهتمام بالوسائل الكمية طريقا للتوصل الى الحقائق الجغرافية سيما خلال النصف الثاني من هذا القرن. فالمصطلحات الشمولية التي درجت الجغرافيا على استعمالها من مثل (كثير) (كثير جدا)(سريع)(معظم)التي اتسمت بالعمومية والنسبية اصبحت تتحول الى ارقام تعبر بدقة عن حالة الكثرة والسرعة الغالبية وتميزت ايضا تلك الارقام اضافة الدقة بعدم التحيز.

وكان لهذه الوسائل الاتها واجهزتها المتطورة، وقد غالى البعض في استخدام الوسائل الرقمية وقد كانت هناك صعوبات واجهت الباحثين في استخدام الوسائل الكمية منها عدم توفر البيانات عن طاقة الظاهرات الجغرافية وان توفرت فان كثير منها كانت تقديرية تفتقر الى الدقة ومن الصعوبات ايضا انها تحتاج الى معرفة خاصة بالاجهزة والمعدات الاحصائية، كما انها تميزت بعدم تيسرها بالنسبة لبعض فروع العلم كالجيومورفولوجيا او الدراسات الاقليمية، وعلى الرغم من السلبيات التي رافقت استخدامها فانها اسهمت في تطور وتقدم الفكر الجغرافي حيث اخرجته من التحيز وابعدته عن الذاتية كما انها اختصرت الوقت ووفرت الدقة والضبط.

ان هذاالاتجاه الجديد ساهم الى حد كبير في تعزيز محاولات الجغرافيين في اشتقاق النظريات والقوانين والنظريات الجغرافية وبناء النماذج، مما اثار ذلك جدلا بين الجغرافيين ولايزال مستمرا حول امكانية بناء القوانين الخاصة بالجغرافيين. فقداشار عليها (هاريس)بالتخلى عن دراسة الظواهر الفردية والتوجه نحو دراسة الكل المعقد للظواهر. بينما يرى الجغرافي الامريكي المعاصر (هارتشهورن) ان الجغرافيا علم وصفي اكثر منه علم يبحث عن القوانين في الوقت الذي يؤكد فيه(شيفر) على أنها علم يبحث عن القوانين التى تحكم التوزيع المكاني للظاهرة. وقد حاول الجغرافيون صياغة القوانين والنظريات الجغرافية بهدف الكشف عن الظواهر ذات العلاقة بدراساتهم، إلا انهم واجهوا مشكلات معقدة تمثلت في تنوع وتعدد العوامل المؤثرة في المكان والزمان. والنظرية كما هو معروف، عبارة عن افكارمنظمة تساعد على تفسير مجموعة الظواهر الموجودة لتكون اساسا للتوقع والتنبؤ. لذا كان على الجغرافيين ايجاد القواسم المشتركة، والخروج بالتعميمات، لتساعد في بناء الفرضيات والوصول بها الى النظريات والقوانين دون التركيز على الظواهر الفردية، كالاقاليم مثلا.

لذلك فالجغرافيون الاقليميون كانوا في مقدمة من دعوا الى عدم جدوى صياغة القوانين في الجغرافية ويركز الجغرافيون الاقليميون على تحليل المكونات البنائية للاقاليم الامر الذي حال دون الوصول الى التعميمات، لذا فقد ظهر اتجاه بينهم يدعوا الى التركيز على الوظائف التي يقوم بها الاقاليم كمحاولة لايجاد القواسم المشتركة بين الاقاليم ودرجة ارتباطها ببعض، والارتباط بين الظواهر هو الخطوة الاولى لصياغة الفرضية وبناء التوقعات المؤدية الى النظرية.

ومن جهة اخرى فان البعض من الجغرافيين يرون بان القسم الاكبر من الفرضيات الجغرافية لاترتبط باية نظرية بل تنتهي ممعظمها الى التعميمات، والجغرافيون يستخدمون هذه التعميمات ومنهم من يرى بان هذه التعميمات هي قوانين، وهم بذلك يخلطون بين التعميم والقانون.

اهمية القوانين في الجغرافية الطبيعية أمر مفهوم لكن المشكلة تظهر في ايجاد قوانين تفسر السلوك البشري. بسبب صعوبة اخضاع المشيئة البشرية الحرة للقوانين. وعليه فان القوانين التي تستند اليها التوقعات، لن تكون اكثر من تعميمات بسيطة يطلق عليها الجغرافيون مصطلح " القوانين الاحتمالية" اما المتغيرات في الظواهر الطبيعية فقليلة ومحدودة وغير معقدة كما ان تطبيق ادوات التكنولوجيا ووسائلها على اعمال الانسان وسلوكه اصعب بكثير منها في الدراسات الطبيعية. حيث يصعب إلغاء حس الباحث وقدراته الذاتية في تحليل الظواهر الانسانية، او إدراك الظوابط الخفية التي قد لاتدركها الوسائل التكنولوجية، وعليه فالقوانين في الجغرافية البشرية، تعد غير معبرة بشكل دقيق، لانها تعكس في الغالب وجهة نظر واضيعها.[١٠٥]

الاستنتاجات:

١-حققت الجغرافيا تقدما كبيرا اثر حركة الكشوف الجغرافية وحركة الارتياد الجغرافي حيث اصبحت الاراضي الجديدة والمسالك المؤدية اليها منهلا يستمد منه الجغرافيون الكثير مما يشكل محور الدراسة الجغرافية.

٢- ان كلا من همبولت وريتر لهما الفضل في وجود الجغرافيا الحديثة، حيث ان الجغرافيا قبلهما لم تكن قد تحددت مفاهيمها او اتضحت معالمها، فهما اللذان ارسيا قواعد هذا العلم وارتقيا به الى مستوى العلم الاصولي.

٣- كانت الجغرافيا دائما مدينة الى اسهامات الجغرافيين الالمان الذين كان لهم قصب السبق في الدراسات الجغرافية. وفي تحفيز الجغرافيين وتوجيه اتجاهات دراسة الجغرافيين في كل مكان. وكانت مدرستهم الفكرية تتبنى مسألة الحتم البيئي المؤمن بتحكم البيئة وتأثيرها المطلق على الانسان وفعالياته.

٤- كان الجغرافيون الفرنسيون اول من استجاب لتوجهات الجغرافيين الالمان حيث انهم قد تتلمذوا على ايديهم وتبلورت مواقفهم مابين مؤيد والى حد كبير معارض وذلك بايمانهم بمسالة الامكانية ومقدرة الانسان على ملاءمة عناصر البيئة لمصلحته.

٥- تعددت التعاريف والمفاهيم للجغرافيا فمنها ما عرفت الجغرافيا بأنه (علم سطح الارض) وعرفته اخرى (العلم المختص بدراسة العلاقة بين الانسان والبيئة) وتعريف اخر تمثل في ان (الجغرافيا علم العلاقات المكانية) وفي تعريف اخر كانت، الجغرافيا هي (علم التوزيعات) فيما عرفها الاقليميون بانها (علم التباين المكاني). ولكن جميع هذه المفاهيم مع ماساهمت به في تحديد المنهج الجغرافي الا انها اصبحت لاتفي بالغرض مقارنة بكثير من الدراسات التي ظهرت في العقود الاخيرة.

٦- اصبح موضوع الجغرافيا يحدد بوسيلتين اعتمدتا كاساس لاعطاء المعونة في عملية التحديد هما الحيز (المكان) والوحدة (الحجم).

٧- يتميز المنهج الجغرافي عن المناهج العلمية الاخرى من خلال اهتمامه بالامتداد المكاني للظواهر (الافقي والعمودي) والامتداد الزماني وباعطاء الاولوية للاهمية النسبية للموضوع.

٨- لايمكن للجغرافية، اتباع منهج واحد او وسيلة معينة في كل فروعها الطبيعية والبشرية، بل وليس من الضروري، ان تلزم الدراسات الجغرافية جميعها بمنهج محدد.

٩- أمكن التوصل الى صياغة القوانين في الجغرافيا الطبيعية، الا ان هذه المحاولات اصطدمت دائما بعقبة صعوبة اخضاع السلوك البشري والمشيئة البشرية الحرة لها في الجغرافيا البشرية، وعلى هذا فان افضل ما امكن التوصل اليه هي التعميمات فيها.

الهوامش

[١] محمد عبدالرحمن الشرنوبي، الجغرافيا بين العلم التطبيقي والوظيفة الاجتماعية، نشرة رقم (٣١)، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، الكويت،.١٩٨١

[٢] صبري فارس الهيتي، ابراهيم المشهداني، د.سعدي محمد صالح السعدي، الفكر الجغرافي وطرق البحث، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٥، ص.٨٤

[٣] محمدعبدالرحمن الشرنوبي، البحث الجغرافى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨ص.٣٣

[٤] صبري فارس الهيتي، ابراهيم المشهداني، د.سعدي محمد صالح السعدي، المصدر السابق.ص٨٤.

[٥] د.محمدعبدالرحمن الشرنوبي، المصدر السابق، ص ٣٣

[٦] نفس المصدر، ص.٣٤

[٧] صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة، مطبعة اطلس، منشاة المصارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٦٧ ٠

[٨] نفس المصدر، ص.٢٧٢

[٩] نفس المصدر، ص.٢٧٢

[١٠] صبري فارس الهيتي، المصدر السابق. ص ٩١.

[١١] صلاح الدين الشلمي، المصدر السابق. ص .٢٧٣

[١٢] محمد عبدالرحمن الشرنوبي، المصدر السابق .ص ٣٤.

[١٣] صلاح الدين الشامي، المصر السبق. ص .٢٧٣

[١٤] صلاح الدين الشامي، المصدر السابق .ص.٢٧٥

[١٥] صلاح الدين الشامي، المصدر السابق، ص.٢٧٥

[١٦] محمد عبدالرحمن الشرنوبي، المصدر السابق .ص.٣٥

[١٧] محمد صبحي عبدالحكيم، د.يوسف عبدالمجيد فايد. الجغرافيةالعامة، ط٣، دارالنهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص.١٢

[١٨] محمد علي عمر الفرا، اتجاهات الفكرالجغرافي الحديث والمعاصر، نشرةرقم (٤٩)، قسم الجغرافية، جامعة الكويت، ١٩٨٣، ص٨

[١٩] صبري فارس الهيتي، المصر السابق، ص.١٠١

[٢٠] صلاح الدين الشامي، المصدر السابق، ص.٢٩١

[٢١] صبري فارس الهييتي، المصدر السابق، ص.١٠١

[٢٢] محمد علي عمر الفرا، المصدر السابق، ص.٩

[٢٣] صبري فارس الهييتي، المصدر السابق، ص.١٠٢

[٢٤] نفس المصدر السابق.ص.٢٩٣

[٢٥] صبري فارس الهيتي، المصدر السابق، ص.١٠٢

[٢٦] صلاح الدين الشامي، المصدر السابق، ص٢٩٣

[٢٧] صبري فارس الهيتي، المصدر السابق .ص١٠٢

[٢٨] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق، ص١٢

[٢٩] خليل اسماعيل محمد، المنهج في الدراسات الجغرافية الحديثة، مجلة.كولان العربي.العدد١٠، مؤسسة كولان الاعلامية، اربيل، ١٩٩٧.ص.٧٧

[٣٠] محمد صبحي عبدالحكم، المصدر السابق، ص.١٣

[٣١] خليل اسماعيل محمد، المصدر السابق، ص.٧٧

[٣٢] دبليو، فريمان، قرن من التطور الجغرافي، ترجمة شاكرخصباك، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦، ص.٤١

[٣٣] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق. ص.١٤

[٣٤] صبري فارس الهيتي، المصدر السابق.ص.١٠٤

[٣٥] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق. ص .١٤

[٣٦] عبد خليل فضيل، د.ابراهيم المشهداني، الفكر الجغرافي، مطبعة دار الحكمة، الموصل، ١٩٩٠. ص.٢٢٤

[٣٧] صبري فارس الهيتي، المصدر، ص١٠٣.

[٣٨] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص٧٧.

[٣٩] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق. ص.١٠٣

[٤٠] صبري فارس الهيتي، المصدر السابق.ص.١٤

[٤١] محمد عبدالرحمن الشرنوبي، المصدر السابق.ص.٣٧

[٤٢] .عبد خليل فضيل، المصدر السابق. ص.٢٢٤

[٤٣] .محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر. ص.١٤

[٤٤] محمد عبدالرحمن الشرنوبي، المصدر. ص.٣٨.

[٤٥] صبري فارس الهيتي، المصدر السابق .ص .١٠٥

[٤٦] خليل اسماعيل محمد، المصدر السابق. ص .٧٧

[٤٧] نفس المصدر، ص.٧٧

[٤٨] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق. ص١٤.

[٤٩] نفس المصدر. ص.١٤

[٥٠] عبدالفتاح محمد وهيبة، جغرافية الانسان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٦، ص١٤.

[٥١] نفس المصدر، ص١٥.

[٥٢] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق. ص.١٥

[٥٣] عبدالفتاح محمد وهيبة، المصدر السابق. ص.١٤

[٥٤] فؤاد محمد الصقار، دراسات في الجغرافية البشرية، ط٤، الكويت، ١٩٨١.ص٣٥.

[٥٥] نفس المصدر، ص٣٧.

[٥٦] عبد خليل فضيل، المصدر السابق، ص.٢٤٣

[٥٧] محمد عبد الحمن الشرنوبي، المصدر السابق، ص٤٣.

[٥٨] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق، ص١٧.

[٥٩] فؤاد محمد الصقار، المصدر السابق، ص٣٨.

[٦٠] روجر منشل، تطور الجغرافيا الحديثة، ترجمة :محمد السيد غلاب و دولت أحمد صادق، ط١، القاهرة، ١٩٧٣، ص١٢٠.

[٦١] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص.١٧

[٦٢] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق، ص١٧.

[٦٣] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص٧٧.

[٦٤] محمد صبحي عبدالحكيم، نفس المصدر، ص١٨.

[٦٥] محمد عبدالفتاح وهيبة، المصدر السابق، ص٣٠.

[٦٦] روجر منشل، المصدر السابق، ص١٢٣.

[٦٧] محمد عبدالفتاح وهيبة، المصدر السابق، ص٢٦.

[٦٨] عبد خليل فضيل، المصدر السابق، ص٢٣٢.

[٦٩] فؤاد محمد الصقار، المصدر السابق، ص٤٤.

[٧٠] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص٧٧.

[٧١] المصدر نفسه.ص٧٧.

[٧٢] فؤاد محمد الصقار، المصدر السابق، ص٤٥.

[٧٣] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق.ص٧٨.

[٧٤] نفس المصدر والصفحة.

[٧٥] محمد على عمر الفرا، علم الجغرافيا، النشرة الجغرافية رقم٢، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، ١٩٨٠، ص٤٤.

[٧٦] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص٧٨.

[٧٧] محمد على عمر الفرا، المصدر السابق، ص٤٥.

[٧٨] المصدر نفسه، ص٤٦.

[٧٩] عبدالرزاق عباس حسين، الاطار النظري للجغرافيا، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٧٠.ص١٩.

[٨٠] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق، ص٢٢.

[٨١] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص٧٨.

[٨٢] محمد علي عمر الفرا، علم الجغرافيا، المصدر السابق، ص٤٧.

[٨٣] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق، ص٢٣.

[٨٤] محمد علي عمر الفرا، علم الجغرافيا، المصدر السابق، ص٥٠.

[٨٥] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص٧٨.

[٨٦] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق، ص٢٦.

[٨٧] عبدالرزاق عباس حسين، المصدر السابق، ص٢٥.

[٨٨] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق، ص٢٧.

[٨٩] محمد علي عمر الفرا، المصدر السابق، ص٦٧.

* يذكر الكاتب في المصدر ثلاثون عاما، علما أن سنة طبع المصدر كان في عام ١٩٨٠.

[٩٠] محمد علي عمر الفرا، المصدر السابق، ص٥٩.

[٩١] عبد خليل فضيل، المصدر السابق، ص٢٧٥.

[٩٢] نفس المصدر، ص٢٥٨.

[٩٣] محمد علي عمر الفرا، علم الجغرافيا، المصدر السابق، ص٦٨.

[٩٤] محمد صبحي عبدالحكيم، المصدر السابق.ص١٩

[٩٥] روجر منشل، المصدر السابق.ص٣٤.

[٩٦] محمد علي عمر الفرا، علم الجغرافيا، المصدر السابق، ص٦٨.

[٩٧] روجر منشل، المصدر السابق، ص٣٥.

[٩٨] محمد علي عمر الفرا، المصدر السابق، ص٦٩.

[٩٩] طه محمد جاد، نظرات في الفكر الجغرافي الحديث، النشرة الجغرافية رقم ١٩، قسم الجغرافية، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٠.ص٢٠.

[١٠٠] خليل إسماعيل محمد، المصدر السابق، ص٧٨.

[١٠١] طه محمد جاد، المصدر السابق، ص٦٣.

[١٠٢] محمد على عمر الفرا، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية، ط٣، الكويت، ١٩٧٣.ص٥٠.

[١٠٣] المصدر نفسه، ص٥١.

[١٠٤] خليل اسماعيل محمد، المصدر السابق. ص٧٩

[١٠٥] خليل اسماعيل محمد، المصدر السابق. ص٨٠.

قائمة المصادر:

١- خليل إسماعيل محمد، المنهج في الدراسات الجغرافية الحديثة، مجلة كاروان العربي، العدد(١٠)، مؤسسة كولان الاعلامية، أربيل، ١٩٩٧.

٢- دبليو. فريمان، قرن من التطور الجغرافي، ترجمة: شاكر خصباك، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦.

٣- روجر منشل، تطور الجغرافيا الحديثة، ترجمة: محمد السيد غلاب، دولت احمد صادق، ط١، القاهرة، ١٩٧٣.

٤- صبري فارس الهيتي، إبراهيم المشهداني ، سعدي محمد صالح السعدي، الفكر الجغرافي وطرق البحث، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٥.

٥- صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة، مطبعة اطلس، منشاة المعارف، القاهرة،١٩٨٠.

٦- طه محمد جاد، نظرات في الفكر الجغرافي الحديث، نشرة رقم(١٩)، قسم الجغرافية بجامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٠.

٧- عبد خليل فضيل، إبراهيم المشهداني، الفكر الجغرافي، مطبعة دار الحكمة، الموصل، ١٩٩٠.

٨- عبدالرزاق عباس حسين، الاطار النظري للجغرافيا، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٧٠.

٩- عبدالفتاح محمد وهيبة، جغرافية الانسان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٦.

١٠-فؤاد محمد الصقار، دراسات في الجغرافيا البشرية، ط٤، الكويت، ١٩٨١.

١١- محمد عبدالرحمن الشرنوبي، البحث الجغرافي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٧.

١٢- محمد عبدالرحمن الشرنوبي، الجغرافيا بين العلم التطبيقي والوظيفة الاجتماعية، نشرة رقم(٣١)، قسم الجغرافية بجامعة الكويت، الكويت، ١٩٨١.

١٣-محمد علي عمر الفرا، إتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، نشرة رقم (٤٩)، قسم الجغرافية بجامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٣.

١٤- محمد علي عمر الفرا، علم الجغرافيا، نشرة رقم(٢٢)، قسم الجغرافية بجامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٠.

١٥-محمد علي عمر الفرا، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية، الكويت، ١٩٨٠.

١٦- محمد صبحي عبدالحكيم، يوسف عبدالمجيد فايد، الجغرافية العامة، ط٣،دارالنهضة، القاهرة، ١٩٧٥.

The Approach evolution in modern geographical thought

Abstract:

The research aims to highlight the evolution of the approach in the modern geographical thought and the difficulties faced by intellectuals geographers, during which, it has been formulated lines and rules of basic geography during the modern period, so and in order to lay the foundations and rules that illustrate the geographic purview of their studies and in order to distinguishing the geographical topics from others the geographic approach witnessed Many attempts and passed many stages of distinct times from each other. And must be praised in this regard the contributions of each of Humboldt and Ritter in determining Bending of geographical thought and geographic knowledge, the study concluded to a set of conclusions the most important of them was emergence of the geographical schools and multiple definitions of this science such as geography (aware of spatial relationships) or that (science of distributions) or being (science of spatial variation) and other definitions, and that the subject of geography Identifies in two ways were adopted as the basis for giving aid in the process of selection were they are the space (the place) and the unit (size),also the geographical approach Characterized from other scientific approaches through it is interest in spatial extension of phenomena (horizontal and vertical) and the temporal extension and by giving priority to the relative importance for the subject and that geography has made great progress after the geographical voyages periods, It also discern that geography cannot follow only one approach or a certain way in all it is natural and human branches. It is also has been reached the formulation of laws in physical geography, but the best of what has been reached in human geography are generalizations because of the difficulty of subjecting human behavior to the laws.